

الارتقاء في الإنسانية

قصص ومقالات مترجمة

ترجمة : أمل الرفاعي



نشر إلكترونيا في رمضان، 1435/يوليو، 2014.

الإخراج الفني: عبد الجبار محمد تاقي

تصميم الغلاف: أسماء الصيّاح

التدقيق اللغوي: هبة العربي

محتـــويات الكتـــــاب

المقدمة

الإنسانية، العاطفة، التعاطف، ومخاوف التقدم بالسن

لاشك أن ما يُميّز الإنسان عن باقي المخلوقات هو ما أنعم عليه الله تعالى، وما وهبه له من مشاعر إنسانية ومن أحاسيس، لذا فقد يصعب اعتبار الأشخاص الذين لا يحملون مثل تلك المشاعر الإنسانية من المخلوقات التي تنتمي إلى تلك الفئة التي كرّمها الله تعالى بما ميّزها به عن باقي مخلوقاته.

وتتجلى إنسانية المرء عادة بأسلوب تصرّفه وبطريقة تعامله مع من حوله، وبما لديه من استعداد صادق لمساندة ودعم ومساعدة الآخرين، وبما لديه من تعاطف تجاه من حوله.

وليس المقصود هنا بعبارة "من حوله" أن يقتصر اهتمام الشخص وأن ينحصر ما لديه من استعداد صادق للعطاء على من هم من أفراد عائلته فقط. كالوالد والوالدة أو الأشقاء والشقيقات أو غيرهم ممن ينتمون إليه بالدرجة الأولى أو بالدرجة الثانية من القرابة. لكن الأكثر أهمية هو بأن يكون لدى المرء الاستعداد لتقديم العون، وللتعاطف مع غيرهم من الأشخاص حتى لو لم تكن تربطه بهم أية صلة دم أو صلة قرابة، وهذا هو أيضًا ما أمرنا به الله تعالى وما تحثّ عليه جميع التعاليم الدينية.

العطاء الحقيقي هو العطاء الذي لا يقتصر على فئة معينة من الناس، وإنما هو العطاء الذي من المفترض أن يتسع لكي يشمل كل من حولنا وكل من هم بحاجة إلى أي نوع من المساعدة، وحتى من هم بحاجة إلى التعاطف أو إلى الحنان فقط؛ لأنه عطاء ينبع من إنسانية المرء.

فنحن حتى لو نظرنا إلى المخلوقات الأخرى فسوف نجد بأن تلك المخلوقات التي تتصرف بموجب غريزتها وبفطرتها فقط، والتي قد تستميت في الدفاع عن صغارها، تقوم بذات الوقت بمهاجمة وبسلب ما لدى غيرها من المخلوقات الأضعف، وهذا هو بما يُعرف بالطبع بـ "شريعة الغاب" التي تتجلّى في تصرف جميع المخلوقات التي توجهها تلك الغريزة من وحوش كاسرة كالأسود والنمور

وغيرها، ومن طيور جارحة كاسرة كالنسور وطيور النورس والبطريق ... إلخ.

لابد أن كل منا قد اطلع على ما كان قد عبّر عنه الشاعر الفرنسي موسيه بشكل متميز جدًا في قصيدة "البطريق" حيث أورد وصفًا دقيقًا رائعًا لما يقوم به ذلك الطائر بعد أن عجز عن اصطياد الأسماك لصغاره، بحيث يلجأ إلى جرح كبده ويُقدمه لصغاره، وهو يتلوى لشدة الألم بينما يشق صياحه عنان السماء ويصل إلى أعالي البحار، لكن الواقع أن ذلك الطائر هو بذات الوقت من يسلب الأسماك صغارها لكي يُطعمها لفراخه.

أما الإنسان، وهو الكائن البشري الذي كرّمه الله تعالى بما ميّزه به عن جميع مخلوقاته، فهو في تعامله مع الآخرين يكون مدفوعًا من إنسانيته، لذا فإن ما لديه من عطاء يتسع لكي يشمل جميع من هم إخوته في الإنسانية. وهذا هو أيضًا ما يجعله يمتنع عن التسبب بالأذى للآخرين، وما يجعله يُعرض حتى عما قد يجرح مشاعرهم.

هذا بالنسبة إلى إنسانية المرء.

أما عن العاطفة فقد تختلف من شخص لآخر. هناك أشخاص ممن يكون ما لديهم مشاعر المحبة والعطاء والحنان أكثر اتقادًا من غيرهم، ومن يكونون أكثر غيرية، بحيث يُكرّسون أنفسهم لمساندة من حولهم دون النظر إلى ما قد يُعرضهم إليه ذلك أحيانًا من متاعب أو من معاناة.

بينما نشاهد أيضًا من يجعلهم حب الذات يعتبرون أنفسهم فقط محور العالم، وبذلك يكون ما لديهم من العطاء محدودًا بحيث يرتبط دومًا بأولوية "الأنا" فقط. وبذلك يكون ذلك الإحساس هو الحافز والموجّه لكل ما يسود علاقاتهم بالآخرين، وهو بالتالي ما ينعكس على تصرفاتهم تجاه من حولهم حتى لو كانوا من أقرب الناس إليهم.

ولابدّ الإشارة أيضًا إلى أن من الأفضل ألا يتحول ذلك العطاء غير المحدود الذي قد توجّهه عاطفتنا تجاه الآخرين، والذي قد ينبع من شدة محبتنا وتعلقنا بهم إلى ما يمكن أن نطلق عليه صفة الخضوع أو الخنوع أو الرغبة بالتملّك، وهو ما يمكن أن تكون له أحيانًا نتائجه السيئة والضارة،

خاصة عندما لا يكون أحد الطرفين على مستوى تلك العاطفة أو على مستوى ذلك التفاني.

وتعتبر الشهامة من بين أنبل المشاعر التي تتفرع عن الإنسانية.

فالشهامة هي التي تدفع المرء أيضًا إلى مساندة الآخرين حتى من لا تربطه بهم أية علاقة قرابة أو صداقة، والتي تجعله يتصرف دون النظر إلى المصالح الشخصية.

ويتجلّى الامتحان الحقيقي لشهامة وعطاء الشخص بتلك الموازنة العادلة بين مصالحه الشخصية وبين حقوق ومصالح الآخرين؛ فليس من الشهامة أن نتخلى عن مبادئنا ولا أن نضعها في الميزان مع مصالحنا الشخصية.

لذا بإمكاننا أن نعتبر أن الفضائل التي تتفرع عن إنسانية المرء هي التالي: التعاطف، المصداقية في العطاء، الشهامة.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن أكثر ما تتجلى به إنسانية المرء يكون بما لديه من تعاطف تجاه كبار السن ومن معوّقين أو مرضى، وبما يُقدمه من إحسان للفئات الفقيرة الأقل حظًا في الحياة.

لاشكّ بأن كلًا منا لابدّ أن يسير نحو التقدم بالسن، ولاشكّ أنه لابدّ أن يفقد بالتالي الكثير من طاقته الجسدية، كما قد تتضاءل أيضًا، في أحيان كثيرة ملكاته العقلية، وهذا ما يجعله يفقد صحته النفسية. لذا فإن تعاطف من حوله تجاهه لابدّ أن يكون له الكثير من الأثر الإيجابي في مواجهته كل تلك التغييرات بكل شجاعة ورضى.

يسرني أن أورد لكم ترجمة لبعض المقالات التي تُصوّر بعض أشكال العطاء الإنساني والتعاطف، وكذلك بعض الترجمات تصوّر الأحاسيس التي يمرّ بها من يسير نحو التقدم بالسن:

- مقالة للكاتب ريتشارد كينغ بعنوان "الإنسانية".
- مقالة للكاتب آرثر بنسن بعنوان "العاطفة".

قصة طريفة للكاتبة لويزا مّي ألكوت بعنوان "ما الذي قالته طيور السنونو حول الإنسانية".



ـ مقالة للكاتب ريتشارد كينغ بعنوان "أسلوب الهروب من القلق النفسي".

ـ مقالة قصيرة للكاتب لوميرأشبورن حول "القسوة البشرية".

ـ مناظرة قصيرة للكاتب أمبروس بيريس بين "المبدأ الأخلاقي والمصلحة المادية".

ـ مقالة للكاتب آرثر بينسن بعنوان "مخاوف التقدم بالسن".

ـ مقالة للكاتب ريتشارد كينغ بعنوان "التخلي عن الطموحات والآمال لدى كبار السن".

ـ مقالة للكاتب فرانسيس بيكون بعنوان "مقارنة بين المتقدمين بالسن ومن هم في سن الشباب في مجال الأعمال".

ـ مقالة للكاتب ت.ش. آرثر بعنوان "تأثير الكلام على الآخرين".

قصة طريفة للكاتب ب. أسبو رجونسون وهو من الكُتاب الذين حصلوا على أكبر الجوائز الأدبية حول "أسلوب التعامل الحالي بين البشر".

ـ قصة طريفة للكاتبة أودورا ويلتي بعنوان "طريق وعرة". وقد تم تصنيف هذه القصة من بين أشهر القصص العالمية لأنها تصوّر عطاء امرأة عجوز ومقدار تضحيتها لأجل حفيدها المريض.

ـ قصة للكاتب ت.ش. آرثر بعنوان "ذكريات رجل مسّن".

ـ بضع كلمات لكل من الكاتبين يوهان غوتيه وكيل يونغ رايس وصفا بها السن المتقدمة.

الإنسانية

للكاتب ريتشارد كينغ

يُعتبر ذلك من أهم الأمور التي يتميّز بها بني البشر، لذا فإن الإساءة لإنسانية أحد الأشخاص ُتعتبر بمثابة الإساءة للمجتمع بكامله، وأستشهد هنا بمقالة الكاتب جيلبير كونان في كتابه "التركيبة البنيوية للمجتمع".

والحقيقة أن ذلك الكاتب الفيلسوف لم يكن في مقالته تلك قد لخّص بتلك الكلمات القليلة سياسات العالم في المستقبل فقط، وإنما كان قد فسرّ أيضًا معنى الدين، الدين الحقيقي ، ومعنى الدين العملي؛ لأن الإنسانية كانت دومًا من أهم التعاليم الواحدة وهي أكثرها ضرورة بكل ما يتعلق بالحياة في وقتنا الحاضر وفي المستقبل.

الكرة الثلجية ـ بمعنى عدم المبالاة بالآخرين ـ لو كان بإمكاننا أن نستخدم هذا الوصف المجازي، قد بدأت تنتشر في الوقت الحاضر، وسوف تحصد في طريقها يوماً بعد يوم كل ما لدى المجتمعات من تعاضد إلى ألا تتبقى آخر الأمر أية أمم بالمعنى الحقيقي للأمم؛ لأن الأمة بمعناها الحقيقي يجب أن تكون أمة واحدة وهي أمة تضم وتوحّد ما بين جميع أفراد الجنس البشري.

فقد انقضى أو أنه بالأحرى قد بدأ ينقضي العصر الذي كانت فيه الأمم تعتبر أن الحضارة ترتبط فقط بما يتوفر لشعوبها من أسباب الرفاهية، من مبان فخمة ومن عدد الحدائق والقطارات التي تسير في الطرقات على مرّ الساعات... إلخ، وبدأت تنتشر الآن في العالم على نطاق واسع،معرفة جديدة هي الإدراك التام بأن عالمنا عالم للجميع، وبأنه ليس فقط لفئة معينة من الناس، وبأنه عالم جميع من يؤدون واجباتهم نحو الإنسانية بكاملها، وليس فقط عالم من قد يُصبحون من الأثرياء باستغلالهم فقر وبؤس الآخرين.

كما قد بدأ يترافق بذلك، الإدراك بأنه سوف يكون للحكومات في عالم المستقبل دور أكثر فعاليّة بحيث تعمل لصالح الشعوب،وليس المقصود بذلك لصالح شعب أمة معينة وإنما المقصود لصالح الشعوب في كافة أنحاء العالم، والإدراك بأن الأشياء التي كانت تُشترى بالمال فقط، يجب أن تُتاح

للطبقة الفقيرة أيضًا. لذا فمن المطلوب أن تتم إعادة تنظيم المجتمع الإنساني بحيث تنطلق الأمور من القاعدة إلى القمة وبألا تنطلق فقط من القمة إلى القاعدة؛ لأن تلك القاعدة الشعبية والطبقة الفقيرة هما في الحقيقة ما يُمكن أن نُطلق عليه تعبير " الزبد الذهبي " الذي يَكمُن في الأسفل، ولأن تلك الطبقة لا تزال بكل أسف تُناضل باستمرار لكي تُخفي ما تعانيه من بؤس وجودها في قاع المجتمع.

وأنا أرى (وهذا رأيي ككاتب) بأنه لن يكون بإمكاننا أن نعتبر أية أمة من الأمم المتحضّرة طالما كانت أحياء الفقراء لا تزال موجودة في مجتمعاتها، ومادام هناك استغلال للطبقة الفقيرة، ومادامت تلك الأعداد الكبيرة من بني البشر لا تزال تُجبر على المعاناة من حياة مُتدنّية مُقيّدة وبائسة، ومادام أفرادها يعيشون دون أي أمل بمستقبل أفضل، ولن يكون بإمكاننا أيضًا، لو استمرت تلك الطبقة المسحوقة بذلك الوضع، أن نُطلق على مثل تلك الأمم اسم الأمم المتديّنة؛ لأن ذلك ليس في الحقيقة سوى سخرية واستخفاف بالجنس البشري، ولأن جميع الأديان والتعاليم الدينية التي تساوي بين بني البشر تحثّ على التعاضد فيما بينهم.

كما أن ما يصدم وما قد يجعل المرء يُصاب أحيانًا بالذعر الفارق الكبير في الثقافة، وهو الأمر الذي ينجم عن أسلوب تنشئة أولاد الطبقة الميسورة وهو ينطبق بذات الوقت على أسلوب تنشئة أولاد الطبقة الفقيرة؛ ولأن تنشئة أولاد الطبقة الفقيرة لا تتم على مبدأ احترام الذات وعلى الشعور بالمسؤولية، كما أن من المؤكد بأن أسلوب حياة تلك الطبقة لا يمكن أن يُتيح لها أيضاً المجال للحصول على تلك الثقافة التربوية، كما لا يتم تشجيعها مطلقًا على الإدراك بأن على كل شخص في هذا العالم - رجل أو امرأة - مسؤوليته ليست فقط عن نفسه وإنما عن جميع أفراد المجتمع.

من ناحية أخرى فمن المؤكد أيضاً أن الأثرياء لن يشجعوا تلك الطبقة على التحلّي بمثل هذه المبادئ؛ لأن ذلك هو آخر الأمور التي قد يهتم بها الأثرياء، ولأن الهدف الوحيد للأثرياء هو الحصول على المال وجمع أكبر قدر من الثروة، على رغم أن المطلوب هو أن يتم تعليمهم كيفية المساهمة في تطوير المجتمع، وبأن يكون من أحد أولياتهم في الحياة الاهتمام بما يُحقق قيمتهم الإنسانية، وبأن عليهم

التطلع إلى كل ما يمكن أن يجعل الجنس البشري في المستقبل فخوراً بما سيحققونه من إنجازات.

ويظهر ذلك الإخفاق والعجز والتقصير في العملية التربوية، بصفتها القوّة الفكرية والاجتماعية والأخلاقية، بشكل أوضح عندما يُترك المجال لكل شخص في المجتمع للقيام بما يحلو له.

أما بالنسبة إلي رأيي الشخصي ككاتب فأنا أعتبر هذا الأمر أحد مهازل الحياة في الوقت الحاضر، ما لم يتم التغيير الذي أشرنا إليه في بُنية المجتمع بحيث يكون لكل فرد من أفراد المجتمع حقوقه وواجباته لكي ينعم كل فرد بحياة سعيدةُ مشرّفة.

العاطفة

للكاتب آرثر بنسن

قد تؤدي عواطف المرء أحياناً إلى بعض الأمور التي بإمكانها أن تتسبب له بالمعاناة أو أمور قد تجعله أحياناً يتعرض للمخاوف بشكل عصيب وجارح وبكل قسوة.

لكن هل يعني هذا أن يكون علينا أن نمنع أنفسنا عن التحلّي بأية مشاعر إنسانية أو عن التعاطف مع الآخرين؟

وهل علينا أن نكبح نبض مشاعرنا بأن نستخدم أسلوب قهر وضبط النفس بحيث لا نُتيح المجال لعلاقاتنا بأن تكون حميمة ولا إلى أن يزداد تآلفنا وتعلقنا بالآخرين؟ وهل علينا أن نمتنع أيضًا عن تقديم العون للآخرين؟

قد يشاهد كل منّا من حين لآخر أشخاص كانت حياتهم قد ارتبطت كلياً بأحد الأشخاص بمشاعر المحبة والشغف والرفقة، بحيث يُكرسون أنفسهم لخدمة لذلك الشخص فقط. وهذا ما قد يجعل أولائك الأشخاص لدى تعرضهم للفقدان أو الفراق يعتبرون بأن حياتهم التي كانت مشلولة ومكرّسة لذلك الشخص قد انتهت، وبأنه لم يعد لديهم سوى بعض الذكريات المؤلمة.

وتتوارد إلى ذهني الآن حالتان كنت قد عرفتهما عن كثب:

كانت إحداهما حالة زوجة طفولية الطباع كان كل ما في عالمها وكل ما لديها من قدرات مكرسًا لزوجها الذي اعتبرته الشخص الوحيد الذي يستحق كل ذلك الحب والاهتمام. وهذا ما جعل تلك الزوجة عندما توفي زوجها فجأة تشعر بأنها قد خسرت كل شيء مرة واحدة، ليس فقط الشخص الذي أحبته والصديق الذي أخلصت له وإنما هو أيضاً كل ما يشغل حياتها وما يُسليها؛ لأن كل ما كانت تهتم به حتى في الأوقات والساعات التي كان يتغيب بها زوجها، هو أن تعمل على تهيئة كل ما يُجنبه ما يمكن أن يتسبب له بأي إزعاج أو ضيق.

كانت تلك الزوجة بعد وفاة زوجها قد تابعت حياتها بالطبع، لكنها كانت تعيش على ألم المرض، بحيث أصبحت على استعداد للرحيل عن العالم في أية لحظة ؛ لأن بُنية حياتها كانت قد تبعثرت وتحطمت بالكامل.

ومن جهة أخرى أورد حالة ابنة متفانية كانت قد قدمت مثل تلك الرعاية لوالدها المُسنّ المريض. كنت سمعتها ذات مرة تقول: بأن حزنها لفقدان والدتها كان قد تضاءل بعض الشيء عندما شعرت بأن بإمكانها أن تُكرّس نفسها ، وبأن تُقدم كل شيء لوالدها الذي تحبه جداً وبأنها تشعر بالكثير من السعادة والسكينة بذلك العطاء، وبأن تكون كل شيء بالنسبة إليه.

كان ذلك ما جعلها ترفض كل ما تلقته من عروض للزواج، حتى عرض الزواج من الشخص الذي كانت قد أحبته طوال حياتها؛ وذلك لكي لا تضطر التخلي عن رعاية والدها، ولم تكن تلك الشابة قطّ قد أعلمت والدها بأنها فعلت ذلك لأجله لكي تجعله يشعر بأنه يقف في طريق سعادتها.

وبذلك كانت تلك الابنة عندما توفي والدها، قد وجدت نفسها وحيدة في العالم وكانت بالطبع قد شعرت بالكثير من الضياع لأنها أصبحت تفتقر إلى أية أهداف لحياتها و إلى أية روابط، كما لم تعد لديها أية مشاغل بعد أن أصبحت فتاة متقدمة في السن بدون أية صداقات أو رفقة تؤنس وحدتها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

ولكن هل علينا أن نعتبر تصرف تلك السيدات اللواتي عملن من أجل تكريس الذات للآخرين من الخطأ؟ من المؤكد أن ما فعلته تلك الزوجة والابنة قد جعلهما تشعران بسعادة غامرة، لكن تلك العلاقة وذلك النوع من التعلق، وتلك الحميمية الوثيقة في الحالتين قد أديا إلى جعلهما بالتدريج تفقدان كل شيء دفعة واحدة وتنعزلان عن كل العلاقات الاجتماعية الأخرى.

ربما كان كل من الزوج والوالد من النوع المتحفظ أو من النوع الخجول، وبذلك لم يكن أحدهما قد جعلهما تشعران برغبته بأن تكون لديه أية علاقات أخرى، وكانا بذلك قد اكتفيا بما تقدمه تلك الزوجة والابنة المتفانيتان.

بإمكاننا بالطبع أن نعتبر بأن الحالتين من الحالات المُبالغ بهما، لكن هناك أيضاً العديد من مثل تلك

الحالات في هذا العالم، وهي تظهر بشكل خاص لدى السيدات اللواتي يُكرسّن أنفسهن عادة بشكل كلي لرعاية عائلاتهن رغم ما قد يتعرضن إليه أحياناً من معاناة و لكن وكما يقول المثل:

"سوف تستمر المياه بالتدفّق مادامت الأرض موجودة، ولاشكّ أن المحبة تتحدى كل الاعتبارات العقلانية حتى الحكيمة منها"

وتكمن الصعوبة بالنسبة لمن يتحلون بطبيعة العطاء غير المتناهي التي تمنح المحبة لمن حولهم وفي جميع الاتجاهات، بأنه عندما يتعرض أولائك الأشخاص في مثل تلك العلاقات إلى الموت والفراق، كثيراً ما تستمر مشاعر المحبة لديهم، وكثيراً ما تُعمل نفسها بذات العنفوان بأن تنتقل إلى من يبقى على قيد الحياة حول ذلك الشخص، وهذا هو ما يمكن أن نُسميه بالحب العاصف الغيور الذي قد يكون من الصعب التعامل معه، وهذا هو تكريس الذات الذي لا يحتمل تدخل أية علاقات أخرى.

ومع ذلك فإن لدى الإنسان فكرة ثابتة بأن سرّ العالم يكمُن بشكل ما بالمحبة وبالمحبة فقط وبأن الأسلوب الوحيد لتفسير هذا السرّ يكمُن في داخل المرء ... لذا لابد للمرء أن يُغامر بعاطفته على الرغم مما قد ينجم عن ذلك من معاناة، لكن عليه بذات الوقت أن يبحث عن القوة لاحتمال ما قد يتعرّض إليه من معاناة قد تترافق بتلك العاطفة الجياشة غير المحدودة أو التي قد تكون غير عقلانية أحياناً؛ لكي يكون بإمكانه مواجهة ما قد ينجم عن ذلك.

هناك بالطبع اختلاف في طباع البشر بين كل من الرجال والسيدات وفي هذا المجال بالذات، وهناك الكثير جداً من أشكال ذلك الاختلاف. بعض ظواهر ذلك الاختلاف واضحة تماماً فعلى سبيل المثال: لدى الرجال دوماً إمكانية اللجوء إلى التدرّب على الاعتدال في عواطفهم؛ لأن مثل هذا الأمر يرتبط بالمقام الأول بأمزجتهم، فهم لا يعتمدون مثلهم مثل النساء على العواطف الجياشة الحارة، ويكمُن تفسير ذلك بما لديهم من تطلعات إلى الدور الذي على كل منهم أن يلعبه لضمان مستقبله المهني لأن لدى الرجل عمله هو الذي يشغل الجزء الأهم من تفكيره.

فإنه بإمكاننا أن نختبر ونحصر ونتحرّى عن السرّ، فسوف نجد بأن ذهن الرجل بما لديه من مشاغل يتنقل بين العديد من المواضيع التي لها أهميتها الأكبر بالنسبة إليه وهو يرتكّز بشكل أكبر

على الأمور الملموسة الواقعية: العمل، الواجبات، الطموحات، وكذلك على الاستمتاع بالحياة. لذا فهو قد يُركّز بشكل أقل على التفكير بالآخرين وعلى العلاقات العاطفية التي قد تعتبر بالنسبة إليه من الأمور التي تأتي في المقام الثاني أكثر من كونها من الأمور التي قد تشغله بشكل دائم ومستقر.

هناك من يعطون بسخاء، ومن يهتمون بالآخرين ويسعون إلى العلاقات الوثيقة إليهم، كما أن هناك من يتعلقون بشكل غريب بالأصدقاء، ومن يستجيبون لمن يتقرب إليهم، لكنهم لا يبحثون بأنفسهم عن مثل تلك الصداقات وإنما هم قد يستجيبون لها ويتجاوبون معها عندما تُعرض عليهم.

والشيء الفريد هو بأن تكون لدى بعض الأشخاص من أصحاب العواطف الباردة وممن يكتفون بالاهتمام بذاتهم فقط، القدرة أحياناً على إثارة اهتمام ومشاعر غيرهم من الأشخاص الذين يتحلون بالعطاء وبالحاجة إلى العواطف الجياشة.

لابدّ أن نجد هذا الأمر غريباً، لكن هناك دون شكّ بعض القواعد النفسية السيكولوجية التي تكمُن خلف ذلك.

وبحسب خبرتي الشخصية، فأنا أرى بأنه كثيراً ما لا يكون الأشخاص الذين يتم البحث عن صداقتهم، من أصحاب القلوب المنفتحة للآخرين، وقد تكون لدى بعض الأشخاص الذين يوصفون بالشخصية المتحفظة أو لدى بعض الأشخاص الذين يصعب إرضائهم، بعض الجاذبية، مما يحفز الآخرين على تكريس عاطفتهم إليهم.

وأما بالنسبة للسيدات فهنّ دون شك يُكرّسن أنفسهن بشكل أكبر للآخرين؛ لأن السيدات أكثر عاطفية وأكثر طيبة من الرجال كما أنهم أكثر مصداقية في عواطفهم.

وأنا على يقين بأن بإمكان المرأة أن تفهم رجل ما أكثر من تفهّم الرجل للمرأة؛ وذلك بسبب الكثير من الاختلاف في نوعية الدوافع بين الجنسين، فليس بإمكان الرجل أن يتقبّل عدم اهتمام المرأة بموضوع العمل؛ لأن المهنة بالنسبة إلى الرجل تكون دوماً الأمر الذي لا يمكن أن ينعزل عنه، فهو يعتبره الجزء الأهم في حياته والأمر الذي يشغله أكثر من أي أمر آخر بعيداً عن أية أهداف أو دوافع أخرى، ولأن الهدف الأساسي في حياة الرجل هو أن ينجز شيئاً ما، وأن يُحقق هدفاً ما، وهذه الرغبة

تسيطر عليه على الدوام مهما كان فيض وزخر وتدفق ما لديه من مشاعر، وهي بحد ذاتها نهاية المطاف بالنسبة للرجل. لكنها ليست كذلك بالنسبة للكثيرات من النساء ؛ ذلك لأن النساء قد يعتبرن العمل ضرورة لكنه بذات الوقت ليس من الأمور الأكثر أهمية؛ لأنه بالنسبة إليهن يتعلق بمهمة بالرجل.

ويعود هذا الأمر بشكل خاص إلى النشأة وإلى التقاليد، رغم ما طرأ من التغيير في العصر الحالي على موضوع عمل المرأة. ولنأخذ على سبيل المثال موضوع مهمة التدريس، فبإمكان الرجل بكل سهولة أن ينجح في هذه المهمة وأن يكون فعالاً فيها دون أن يكون لديه أي شعور مُحدد أو الكثير من الاهتمام بطلابه ما لم يصدر عنهم أية ردّة فعل عكسية أو تصرف خاطئ. بينما ليس بإمكان المرأة أن تقف موقفاً سلبياً تجاه الموضوع.

ونظرة الفيلسوف غاليلو صائبة من حيث حاجة الطلاب (فتيات أو فتيان) لتعلم كيفية ضبط النفس، وهو الأمر الذي يجعل المرأة تشعر بأكثر من المسؤولية في هذه المهنة.

وقد يكون هناك في كثير من الأحيان وفقاً لطبيعة ومزاج البعض الميل أو الحاجة الماسة لجعل الآخرين يقدمون إليهم المساعدة، كما قد تكون لديهم نزعة أنانية لجعل الآخرين يهتمون بهم.

وبذات الوقت قد توجه تصرفات من هم على استعداد لتولي إدارة حياة الآخرين الرغبة بالسيطرة عليهم أكثر من التعاطف الحقيقي.

لذا فمن الواضح أننا بالمحبة قد نجعل أنفسنا أحياناً نتعرض إلى أشد المعاناة. ومع ذلك فأنا أعتقد بأن علينا أن ألا نتوقف عن العطاء أمام أي احتمال للمعاناة. والشخص الذي يقول لنفسه:

"أنا على استعداد لتكريس نفسي للآخرين لكنني سأمتنع عن ذلك لأن علي أن أضبط مشاعري خشية المعاناة التي قد تواجهني". هو شخص كما بإمكاني أن أقول بعيد جداً عن التعاليم الدينية وعن الإيمان بالله تعالى؛ لأن المحبة بإمكانها أن تنتصر على الخوف من المعاناة، وبشكل خاص عندما تترافق المحبة بسعادة العطاء وعندما تترافق بالأمل والثقة.

ولو كانت المحبة لا تدوم حتى بعد الموت فسوف تكون الحياة بدون أساس أخلاقي؛ لأن مشاعر

المحبة هي في الواقع الشيء الوحيد الذي يدوم والذي يبقى حياً. المحبة والعطاء بسخاء هما الصفتان والميزتان اللتان عندما تصلا دون جدوى من الرفعة، فلابدّ لهما أن تقهرا الخوف وتنتصرا عليه، وبرأيي لو لم تكن المحبة تدوم حتى بعد الموت فسوف تكون الحياة دون جدوى، لأن المحبة هي بالتأكيد الشيء الوحيد الذي يبقى ويدوم ويسعد.

ما الذي قالته طيور السنونو حول الإنسانية؟

للكاتبة لويزا ماي ألكوت

كان من عادة ذلك الرجل أن يستلقي على كومة من القش في تلك الحظيرة الكبيرة لكي يرقب طيور السنونو وهي تتدافع وتُغرّد فوق رأسه. كان يشعر بالحسد تجاه تلك المخلوقات الصغيرة لما كانت تبدو فيه من سعادة.

لم يكن ذلك الرجل من الأشخاص السعداء؛ لأنه كان قد فقد مؤخراً زوجته وطفله الصغير، ولم تكن لديه أية صداقات، كما لم يكن يمتلك الكثير من المال؛ لذا لم يعد يشعر بطعم السعادة في أي مكان ولم يعد هناك ما يمكن أن يجلب له أي عزاء بعد فقدانه زوجته وطفله الصغير. كان يعيش وحيداً على هامش الحياة، وكان كل ما يفعله هو أن يتجول طوال اليوم في الطرقات بوجهه المُتجهم الكئيب، وهو يُنشد الأغاني الحزينة التي تجعل قلوب من حوله تكاد تنفطر ما جعل الجميع يُعرضون عنه... لكنه مع ذلك لم يكن يأبه بأحد، لا بمن كانوا من أصدقاء الماضي ولا بمن هم من الجوار، حتى أنه لم يكن يُنفق ما لديه من مال كي يُستمتع به ولا لكي يساعد به الآخرين.

وذات يوم، وبينما كان ذلك العجوز البائس الوحيد مستلقياً في مخزن الحبوب على كومة من القش ذات الرائحة اللطيفة تغمرها شمس بعد الظهيرة، وهو يرقب طيور السنونو التي كانت تتدافع وتُرفرف فوق رأسه وهي تُزقزق ببهجة أخذ يحدث نفسه بصوت مرتفع:

"كم أنت سعيدة يا طيور السنونو! فليست لديك أية أحزان أو آلام، أتمنى لو كنت طائراً لكي أتحرّر مثلك من كل ما يُثقل صدري من أحزان.

أنت تعيشين طوال فصل الصيف ببهجة كما أن بإمكانك عندما يحلّ فصل الشتاء أن تطيري إلى الجنوب الجميل المُشمس دون أن يكون عليك أن تتفرقي عن بعضك البعض ولا عن من تحبينهم".

وكانت سنونوة صغيرة قد أطلّت حينئذ من عشها على مجموعة من طيور السنونو كانت جاثمة على عارضة خشبية وصاحت:

"هل سمعتم يا رفاقي ما قاله هذا المخلوق الأبله؟"

أجابت طيور السنونو بزقزقة أشبه بضحكة ازدراء:

"نعم نعم، سيدة سكيم! سمعنا ما قاله، ونحن نتفق معك بالرأي بأن هذا الرجل أبله. يبدو أنه لا يعرف الكثير عن حياتنا. فنحن نعمل طوال اليوم ونبذل من الجهد أكثر مما يبذله. بودي أن أعلم هل هو من يقوم ببناء بيته الخاص به؟ وهل عليه أن يسعى طوال اليوم لتأمين قوته من الخبز؟ وكم عدد من يقدم إليهم العون من القاطنين في الجوار؟ وما الذي يعرفه عما في هذا العالم من نكبات؟ فمن هو الأكثر سعادة في هذه الحياة؟"

صاحت سنونوة أخرى:

"نعم، ماذا لو كان عليه أن يُعيل صغاره مثلنا وأن يكون عليه أن يعلّمهم كيفية الطيران؟ كما أنه على ما يبدو لا يعرف الكثير عن قلق الأهل على صغارهم."

وكانت تلك السنونوة قد طارت بسرعة لكي تبحث عن طعام العشاء لصغارها.

وقالت سنونوة رابعة هي السيدة دارت برقة:

"نعم، نحن أيضاً لدينا أحزاننا، لا أعتقد بأنه كان سيحسدني لو علم بأن عشي الجديد كان قد سقط وبأن جميع أطفالي قد قتلوا، ولو علم بأن زوجي العزيز كان قد أصيب بطلق ناري تسبب بموته، ولا كيف توفيت والدتي لشدة التعب أثناء رحلتنا الربيعية إلى جهة الجنوب."

ثم قالت سنونوة أخرى:

"نعم نعم، يا جارتي العزيزة! بالفعل لم يكن سيحسدك على الإطلاق لو علم كيف تواجهين كل تلك المعاناة بالصبر، ولا مقدار ما تُقدمينه من مساعدة لأصدقائك، ولا كم كنت مخلصة لزوجك المتوفى،

حتى أن كل ما تتطلعين إليه الآن، وهو أن ترحلي من هذا العالم لكي تجتمعي به من جديد."

وكانت السيدة سكيم وهي تقول ذلك قد انحنت من عشها لكي تُقبل جارتها السنونوة دارت، بينما كان طيور السنونو الأخرى تغرد بغبطة فقد كان الجميع يحبون السيدة دارت.

وقالت سنونوة أخرى كانت قد شعرت أن عليها أن تُدلي هي أيضاً برأيها وبما يجول في ذهنها:

"أما بالنسبة إلي، فأنا لا أحسد مثل هذا الرجل على الإطلاق، ربما يعتقد بنو البشر رجالاً ونساءً على السواء بأنهم كائنات متفوقة علينا، لكن ثِقوا برأيي، فأنا أرى بأنهم أقل مكانة منا وبأنهم أيضاً أدنى مرتبة منا بكثير.

انظروا إلى هذا الرجل، هل ترون كيف يُضيع أيام حياته؟ لم يسبق أن حصل أي رجل على ما كانت لديه من فرص لفعل الخير ولكي يتوصل إلى السكينة والسعادة، لكنه مع ذلك يكتئب ويتوانى ويُبدد وقته بشكل مخجل."

وقالت سنونوة أخرى:

"لكنني مع ذلك أتعاطف معه وأشعر بالرأفة عليه وأنا أرى بأنه قد يكون على حق، فقد تعرّض للكثير من الأحزان ومن الصعب أن يكون المرء مبتهجاً، وهو بمثل هذا القلب الحزين. كان قد فقد عائلته وهو يعيش في منزل فارغ، لذا ليس عليك أن تكوني قاسية في حكمك عليه."

وكانت السيدة دارت قد نظرت إلى المكان الذي كان فيه عشها الذي سقط. وقالت:

"لا بالطبع يا عزيزتي! لن أكون كذلك، لكنني أفقد صبري أحياناً عندما أشاهد ما هو فيه من هذا الرجل من يأس وبؤس، برأيي لو كان بإمكانه فقط أن يحاول نسيان معاناته بعض الشيء فلابدّ أن يصبح أكثر سعادة، لكن كل ما يفعله الآن هو أن يتجول بمثل هذا الوجه الكئيب وبهذا المزاج السيئ، لاشكّ بأنني أؤيد رأيك تماماً ومع ذلك بإمكاني أن أقول بأن عليه أن يكون ممتناً أي شخص قد يُعلّمه كيف بإمكانه أن يجد العزاء.

يا لهذا البائس! أتمنى لو أن بإمكانه أن يفهم ما أقوله لأنني أتعاطف معه كثيراً وسوف يسعدني جداً لو استطعت تقديم المساعدة إليه ."

وكانت الأرملة دارت الطيبة القلب، وهي تتحدث قد انزلقت بخفة إلى جانبه وأخذت تغرد برقّة، ما جعله يشعر بالفعل بالعزاء؛ لأن ذلك الرجل كان شاعراً، وبذلك كان بإمكانه أن يفهم لغة الطيور.

ظلّ الرجل مستلقياً يُصغي بسرور إلى ذلك التغريد بينما استمرت طيور السنونو بثرثرتها معاً.

قالت السيدة سكيم وقد جثمت فوق بيضها:

"أنا في الوقت الحاضر مرتبطة جداً بعشي لأن علي أن أحتضن البيض و أنتظر أن تفقس فراخي؛ لذا ليس بإمكاني أن أطلع دوماً على كل ما يجري ما عدا القليل من الأنباء الذي يُعلمني بها زوجي سكيم، لذا فأنا الآن أستمتع كثيراً بهذه الثرثرة وبهذا الحديث الذي يدور بيننا، كما أنني أهتم بوجهة نظركم عن هذا الموضوع، أرجو إعلامي بما تقترحونه حول الطريقة التي على هذا الرجل أن يتبعها لكي يحسّن من وضعه ولكي ينسى معاناته؟"

أجابت السيدة وينغ بجديّة فقد كانت تُفاخر دوماً بما لديها من آراء ومن وجهات نظر حكيمة وتحب كثيراً التحدث عن ذلك:

"حسناً عزيزتي، سوف أعلمك بما أقترحه:

كما تعلمون كنت خلال حياتي قد مررت بالكثير من الأحداث، وكنت قد شاهدت الكثير في هذه العالم، وبذلك أصبحت ممن لديهم الكثير من التجربة، وبإمكان أي شخص أن يستفيد من تجربتي ومما لدي من خبرة.

كنت اليوم أثناء تحليقي حول البلدة وأنا أبحث عن المكان الذي سوف أبني فيه عشي الجديد، قد شاهدت الكثير من الفقر ومن المشكلات ومن المعاناة لدى بني البشر ما جعلني أتمنى أن يكون بإمكاني مدّ يدّ المساعدة إليهم.

وأنا أرى أن بإمكان هذا الرجل الذي يمتلك بعض المال ، والذي لديه الكثير من أوقات الفراغ، أن يساهم بأعمال الخير أكثر مما تعتقدون، كل ما عليه أن يفعله هو أن يبدأ بذلك.

ليس هناك؛ لأنه كما يقولون من الشعراء، ما يُبرر جلوسه طوال اليوم وهو يندب وينشد الأناشيد الحزينة، كما لو أن ليس هناك أي شيء آخر بإمكانه أن يفعله.

نحن أيضاً نُغرد لكننا نعمل أيضاً بذات الوقت ، ونحمد الله على أننا نُدرك أهمية كل من العمل والإنشاد على السواء."

صاحت طيور السنونو بصوت واحد:

"نعم نعم، هذا ما نقوم به بالفعل."

ثم استأنفت السيدة وينغ حديثها بحماس وقالت:

"لو كنت رجلاً لكنت سأجعل من نفسي على الفور شخصاً مفيداً للآخرين. فعلى سبيل المثال ذلك الطفل الصغير "ويل" الذي يعاني من شدة المرض والذي يتفاقم وضعه يوماً بعد يوم لأن والدته ليس بإمكانها اصطحابه إلى الطبيب، فلو ساهم هذا الرجل بالقليل من ماله لكان بإمكان ذلك الطفل أن يشفى، كل ما عليه هو أن يمنحه بعض المال.

كما أن هناك عجوز يتضوّر جوعاً ويعيش وحيداً في ذلك الكوخ المُنعزل وليس لديه من يُشعر بمعاناته، فلِمَ لا يقوم هذا الرجل الكسول باصطحابه إلى منزله والعناية به أثناء ما تبقى من أيام حياته؟

وهناك أيضاً السيدة نيل التي تعمل ليل نهار لمساعدة والدها. والدها الذي تمنعه كرامته من طلب المساعدة، رغم أنه بوضع صحي سيء فقد بدأت صحته تتراجع كما بدأت مقدرته تتضاءل يوماً بعد يوم، وبإمكان هذا الرجل أن يقدم إليها بعض العون وأن يجعل قلب تلك السيدة الحزين يبتهج.

وهناك أيضاً ذلك الشاب الذي يعيش في كوخ منعزل والذي هو بحاجة إلى بعض الكتب وإلى مدرس، وبإمكان هذا الرجل الذي لديه مكتبة تغصّ بالكتب مساعدة ذلك الشاب وانتشاله من حالة اليأس التي يعيشها، كما بإمكانه تقديم العون إليه ومواساته ولو ببضع كلمات طيبة قد يقولها له.

فلو كان هذا الرجل لازال يحزن ويتفجع على الطفل الذي فقده، فأنا أنصحه بأن يتبنى أحد الأطفال اليتامى ممن ليس لديهم من يرعاهم، فقد شاهدت اليوم طفلاً صغيراً مستلقياً على أرضية منزل مُتداع ليس لديه من يرعاه.

نعم، لو كان هذا الرجل يرغب بنسيان أحزانه وبالشعور بالسكينة فكل ما عليه هو أن يملأ قلبه

الفارغ هذا ومنزله الفارغ ذاك وسوف يرى بأن الحياة لن تبدو له قاتمة بعد الآن."

قالت السيدة سكيم وهي تنظر إليها بإعجاب:

"بحق الله سيدة وينغ! كم تجيدين التعبير عن نفسك! من الممتع بالفعل أن يصغي المرء لما تقولينه أليس كذلك يا رفاقي؟ ليت بإمكان هذا الرجل أن يفهم ما قلته؛ لأن فيه من الحكمة ما سيعود عليه بالكثير من الفائدة."

وكان السيد سكيم قد أومأ أيضاً برأسه بالتأييد.

ثم قالت السيدة دارت بصوتها الرقيق:

"وأنا أيضاً أعلم بأن ما قلته من شأنه أن يُعّزي هذا الرجل أكثر من أي شيء آخر؛ لأنني كنت بالذات قد جربت مثل هذا العلاج بطريقتي الخاصة، وقد وجدت باللجوء إليه الكثير من العزاء، ولو كان بإمكاني لكنت سأسدي أنا أيضاً نصائحي لهذا الرجل حول تجربتي في الحياة."

كان ذلك الرجل قد سمع بالفعل وفهم كل ما دار من حديث بين طيور السنونو. نهض لكي يغادر مخزن الحبوب وقد ارتسمت على شفتيه أول ابتسامة بعد أن كانت الابتسامة قد اختفت عن وجهه لأيام عديدة، وقال:

" نعم سيدتي، لقد فهمت ما قلته، وما سمعته منك. شكراً لكم يا أصدقائي طيور السنونو، عمتم مساءً". ثم خرج من المخزن.

حينئذ صاحت السنونوة السيدة وينغ بدهشة وقد كادت تقع من أعلى العارضة الخشبية."

"ليرحمنا الله! ليرحمنا الله! هل يمكن أن يكون هذا الرجل قد فهم لغتنا؟"

أجابتها السيدة سكيم ساخرة من سذاجة جارتها:

"من المؤكد أنه سمع وفهم كل ما قلته. من حسن الحظ أنني كنت حذرة."

صاحت السيدة وينغ:

"يا الهي! ما الذي قلته؟وما الذي فعلته بنفسي؟"

وقالت السيدة دارت لكي تُخفف من روعها:

"علي أن أقرّ بأنه لم يكن ينبغي لك أن تنعتيه بالرجل الكسول البغيض، وبأنك كنت قد تدخلت بشؤون الغير وبأنك تفوهت ببعض العبارات القاسية أيضاً، إلا أنني لا أتوقع مع ذلك أن يتسبب لك هذا الرجل بأي ضرر، فنحن أقل قدرًا من أن تكون لآرائنا ما يمكن أن يزعج بني البشر."

لكن السيدة وينغ أجابتها بحدّة وبتفاخر وهي في شدة الاضطراب:

"لِم لا؟ بإمكان القطة أن تنظر إلى الملك، وبإمكان الطائر الصغير، لو كان أكثر حكمة، أن يُلقن الإنسان درساً. قد يُخرّب لي هذا الرجل عشي وقد يقتلني لكنني أشعر بأنني بما قلته كنت قد أديت واجبي، ولو حدث وتسبب لي هذا الرجل بأي ضرر فسوف يكون بالفعل مثالاً للرجل الكسول البغيض ناكر الجميل."

لكن السيدة وينغ كانت على الرغم مما كانت عليه من تبجح وحدّة، كانت قد أخفضت صوتها، وألقت نظرة من أعلى العارضة الخشبية لكي تتأكد من أن الرجل كان قد غادر مخزن الحبوب قبل أن يسمع ما نعتته به من صفات بغيضة ثم طارت لكي تطلع على ما سيقوم به ذلك الرجل.

كانت السيدة وينغ بعد ذلك قد ظلّت لعدة أيام في غاية القلق والاضطراب، وكانت تتوقع أن يُهاجَم ذلك الرجل عشها الصغير وأن يقوم بتدمير عائلتها بكاملها.

كما كانت جميع الطيور قد بدأت تزقزق معاً، فقد شعر أقرب الأصدقاء إليها أيضاً بالرعب مما جعلها تشعر أكثر مما كانت فيه من خوف، وتصبح خنوعة وتلتزم عشها، ولا تفتح منقارها سوى لكي تأكل.

ثم كان قد تم تكليف من يحرس عشها للتأكد من عدم اقتراب أي خطر منها، كما كانت مجموعة من طيور السنونو تطير حول المكان في جميع ساعات النهار والليل، وكان عشرات من الرؤوس الصغيرة السوداء تُطلّ من أعشاشها لو حدث ودخل المخزن أي شخص، وبعد ساعات قليلة كان جميع طيور المدينة قد اطلعوا على ما حدث مع تلك السنونوة الصغيرة.

وفي اليوم الذي تلا الحديث الذي كان قد دار بين طيور السنونو، كان أحد الطيور من فصيلة أخرى قد جاء لزيارة السيدة وينغ وقال لها:

"عزيزتي السيدة وينغ، أنا أشعر بالفعل بالكثير من القلق على وضعك لذا جئت كي أحذرك من الخطر الذي يتهددك."

قالت السيدة وينغ وهي تضمّ صغارها تحت جناحيها:

"ليرحمنا الله! ليرحمنا الله!"

أما السيدة سوتي التي لم تكن تحب السيدة وينغ؛ لأنها كانت تنظر إليها نظرة دونية وإلى جميع طيور السنونو التي تعيش في مداخن المنازل فقالت:

"اهدئي صديقتي، ولكن عليك بالطبع أن تحتملي نتائج طيشك. أنت تعلمين سيدتي، بأنني أعيش في منزل كبير وأن بإمكاني أن أرى وأسمع كل ما يجري حولي. لا توجد أية نيران في الموقد، لكن سيدي يحب الجلوس أمامه وبذلك بإمكاني أن أسترق السمع وأن أصغي إلى كل كلمة يقولها.

كنت ليلة الأمس، بعد أن نام صغاري وبعد أن غادر زوجي، قد جلست على منصب المدفأة المليء بالقطع الخشبية الكبيرة كما أفعل في كثير من الأحيان بحيث يكون بإمكاني أن أسترق النظر دون أن يراني أحد، وكان سيدي قد جلس أيضاً هناك، وقد بدا أكثر هدوءًا وبهجة من المعتاد، وقد سمعته يقول بلهجة تدّل على التصميم:

"سوف أقبض عليهم واحداً واحد لكي أحبسهم لدي هنا، فهذا أفضل من قيامي بتخريب المكان بكامله كما كنت أعتزم.

ليس بإمكان تلك الطيور أن تُدرك ما الذي فعلته بي، لكنني سوف أثبت لها بأنني لن أنسى ما حييت ما سمعته منها."

عندما سمعت السيدة وينغ تلك الكلمات كان قد أغمي عليها بينما كانت السيدة سوتي قد شعرت بالغبطة لوقع ما قالته عليها، ثم قالت من جديد قبل أن تغادر المكان وهي تحاول أن تبدو لطيفة تجاهها:

"آسفة لأجلك سيدة وينغ، أنا أسامحك على كلامك الفظ حول طيور السنونو التي تعيش في المداخن. لكن ليس بإمكان المرء أن يتوقع حسن التصرف من الأشخاص الذين يعيشون في مداخن البيوت

المغلقة بعيداً عن المجتمع الخارجي للطيور ولو سمعت المزيد فسوف أعلمك به."

وكانت السيدة وينغ البائسة قد تلقت بذلك ضربة أخرى. شعرت كما لو أن أحدهم قد ضربها للمرة الثانية، ما جعلها تفقد الوعي من جديد وهي تصيح:

"يا إلهي! ما الذي علينا أن نفعله وكيف سننجو؟"

لكن السيدة دارت قالت:

"كل ما علينا أن ننتظر لنرى ما الذي سيحدث، وبإمكاني أن أقول بأن السيدة سوتي قد أخطأت التصرف تجاهك. لكن وعلى كافة الأحوال ليس بإمكاننا أن نغادر دون أن نصطحب صغارنا؛ لأن ليس بإمكانهم الطيران بعد، لذا دعونا ننتظر لنرى ما الذي سيحدث، ولو حدث الأسوأ فسوف نكون قد أدينا واجبنا وسوف نموت جميعاً معاً."

وبما أنه لم يكن بإمكان أحد أن يُدلي بأية نصيحة أفضل فقد تم العمل بنصيحة السيدة دارت وبذلك انتظر الجميع.

ولكن بعد ظهيرة ذلك اليوم، كان الدكتور بانك وهو أحد الطيور التي تعيش في قرية مجاورة قد زفّ إليهم الأنباء التالية قال:

"لقد ذهب ذلك الرجل العجوز اليوم إلى ذلك المنزل الفقير، واصطحب الطفل اليتيم نان. شاهدته وهو يحمله بين يديه إلى أم مرضعة ويطلب منها رعايته لبعض الوقت لقاء مبلغ جيّد من المال، وقد بدت تلك السيدة سعيدة جداً؛ لذلك لأنها بحاجة إلى المال. أليس هذا جيداً للغاية؟ ثم نظر إلى السيدة وينغ وقال:

ولكن ما الذي أصابك سيدة وينغ؟ أرى أن نبضك مُتسارع وتبدين محمومة؟"

لكن لا عجب من الدهشة التي أصابت الطبيب بعد ذلك؛ لأن السيدة وينغ كانت لدى سماعها ما نقله إليهم الدكتور بانك قد بدأت ترفرف بجناحيها على الفور ثم نظرت إلى من حولها وقالت بلهجة المنتصرة:

"والآن من الذي كان على حق؟ ومن الذي قام بعمل جليل؟ هل تبقى لديكن ما تثرثرون حوله؟ من

الذي كان الشهيد؟ ومن التي تحملت كل ذلك اللوم والظلم وقلة الاحترام؟ نعم، لابدّ أن ذلك الرجل قد وجد بأن هناك الكثير من الحكمة بما قلته وسوف يُعرب لي عن امتنانه على ذلك. ولو قام بتقديم المساعدة لعدد آخر من الأشخاص فسوف يعود الفضل في ذلك إلي أيضاً وإلي فقط."

وكانت قد توقفت عن التنفس بقوة. بينما نظرت كل من جاراتها إلى الأخرى بحيرة، لكنهن في اليوم التالي كنّ قد تأكدن بأن السيدة وينغ كانت على حق، فلم يكن أي من طيور السنونو قد أصيب بأذى وبذلك كانت السيدة وينغ قد أصبحت رئيسة مجموعة طيور السنونو وكان جميع الطيور قد أثنوا كثيراً على ما فعلته.

ثم كان قد تلا ذلك الكثير من الأحداث الرائعة الأخرى، فلم تعد أية عائلة في عوز أو معاناة، ولم يعد هناك من يفتقد إلى الرعاية. كان كل شخص قد حصل على ما يحتاجه من المال، وبذلك ساد السلام والسعادة في تلك الأكواخ الفقيرة التي تقع إلى جانب ذلك المنزل القديم.

كما كان ذلك الرجل الكئيب قد تغير كلياً وشعر بالسكينة وبالسعادة التي يجلبها العطاء للآخرين وعاد إلى تواصله مع الأصدقاء والجوار.

لم يكن ذلك الرجل قد نسي بالطبع زوجته وطفله اللذين فقدهما، لكنه لم يعد يشعر بذلك الأسى؛ لأنه بدأ حياة جديدة يشغلها ما كان يقوم به لمساعدة من حوله من المعوزين. أصبح كل من حوله يكنون له المحبة والاحترام لكن أفضل الأصدقاء بالنسبة إليه كانت طيور السنونو تلك.

كان يذهب يومياً إلى مخزن الحبوب وهو يحمل إليهم الحبوب وكِسرات الخبز ويجلس لكي يستمع إلى أحاديثهم ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم. ولم يكن قد تخلى عن صداقتهم؛ لأنه كان يدين لهم بكل ما وصل إليه من راحة ومن سكينة وسلام.

كانت طيور السنونو عندما حلّ فصل الخريف وبدأت أوراق الأشجار تتساقط قد أخذت تستعد للرحيل إلى الجنوب، لكنها كانت مع ذلك تشعر بالأسف لابتعادها عن ذلك العجوز الصديق. وكان العجوز عندما شاهد طيور السنونو وهي تستعد للرحيل وهي تُغرّد قد أخذ يُنشد:

أيتها الطيور الطيبة، يا طيور السنونو الصديقة ...

توقفي قليلاً أمام نافذتي لكي تُغردي برقة وتقولي وداعاً وداعاً. ها قد مضت أيام الصيف وسوف ترحلين عن هذا المكان لكنك كنت قد أديت ما عليك من واجبات على أحسن وجه، كما قمت ببناء أعشاشك الصغيرة الواحد تلو الآخر.

أتمنى أن تعودي إليها مُجدداً مع قدوم الربيع وأنا أقول لك الآن وبكل امتنان وداعاً وداعاً، يا طيور السنونو الصديقة الطيبة.

الهروب من القلق النفسي

للكاتب ريتشارد كينغ

أشعر دوماً بالكثير من الأسف على فاقدي البصر؛ لأنني أعلم بأنه ليس بإمكانهم على الإطلاق أن يجولوا ولو بأفكارهم في المراعي والحقول والغابات الخضراء.

قد يكون ذلك من السخف، لكن من المؤسف بالفعل ألا يعرف مثل هؤلاء البؤساء شيئاً لا عن تألق الشمس عند الغروب، ولا عن روعة وجمال الجبال، ولا عن السهول الخضراء. ولايشعرون بمعنى قدوم الربيع ولا بروعة الصيف، وما يجعلني أشعر بالفعل بالأسف عليهم هو أن ليس بإمكانهم بالفعل الاستمتاع بكل تلك الأشياء.

لكن الحرمان الأكبر أيضاً برأيي هو أن تلك الأشياء كان بإمكانها أن تُبعدهم عما يُقلقهم وعما يُعذب أرواحهم وعن الخوف الذي يلازمهم وينهش قلوبهم مما ابتلوا به.

أما نحن الأكثر حظاً في هذه الحياة، فبإمكاننا ليس فقط أن نستمتع بجمال كل تلك الأشياء من حولنا، وإنما بإمكاننا أيضاً، عندما نشعر بعض القلق النفسي، أن نتأملها ولابدّ يجعلنا ذلك نشعر بالسكينة وأن يُخفف من معاناتنا، كما أنه ولو لبعض الوقت يمنحنا الشجاعة لكي ننسى متاعبنا ولكي نستمر في الكفاح حتى النهاية.

لذا لابدّ أن يكون لتلك المعاناة أبعادها الهائلة لدى من حرموا من نعمة البصر وهم يعيشون في ذلك الظلام الذي يكتنف حياتهم، لعدم وجود ما يمكن أن يُبعدهم عن مشاعر الأسى سوى اعتيادهم مع مرور الوقت على القهر النفسي، وعلى تلك المعاناة ما قد يُقلّل بعض الشيء من اهتمامهم بذلك.

فالوقت بالنسبة لفاقدي البصر لا يمر بسرعة، لذا فإن قد تستمر معاناتهم النفسية لمدة طويلة جداً

إلى أن يحلّ في قلوبهم ذلك الخَدر وعدم الاكتراث، وإلى أن تملأ نفوسهم سكينة الرضى بالقضاء.

أما الأشخاص الذين بإمكانهم أن يروا كل تلك الأشياء الجميلة، والذين ينعمون بنعمة البصر فلديهم في تأملهم لمعجزة الله تعالى في الخلق وفي هذا الكون، ما يمكن أن يُنسيهم ما هم فيه من كُرب.

من العسير أن يشعر المرء باليأس أمام عظمة الجبال وأمام سعة البحر وامتداد الأراضي الشاسعة؛ فهناك في قوتها وعظمتها ما يُعيد إلى النفس القوة، وما يُجدّد الحيوية في القلب والروح، وقد خلقها الله تعالى لكي تمنح مخلوقاته عن الشجاعة من خلال تأملهم أعجوبة الخَلق.

لذا فمن المؤسف ألا يكون بإمكان فاقد البصر أن ينعم بكل هذه الأشياء التي تُعزّي والتي تمنح الأمل والشجاعة، وأن يظلّ مُحاطاً بكل ذلك الظلام الذي يبدو وكأنه يقحمك ويدفعك من جديد إلى الخلف وُيعيدك إلى المخاوف التي تحطم القلوب.

أتساءل أحياناً كيف لا يصاب فاقدو البصر بالجنون؟ فليس لديهم ما يمكن أن يجلب السكينة إلى النفس، ومع ذلك لاشكّ أن هناك أمر واحد فقط بإمكانه أن يسعدهم ألا وهو المحبة، المحبة التي يمكن أن تُجدّد لديهم شجاعة تقبّل محنتهم والتي قد تملأ قلوبهم بالسكينة والرضى وبشجاعة التأقلم مع ذلك الصراع الذي يكتنف نفوسهم.

فلو أراد أي منا أن يهرب من أحزانه ومتاعبه، فكل ما عليه هو أن ينظر إلى ما حوله، بينما يُعاني فاقد البصر من جحيم الوحدة والظلام. وهذا ما يثبت ضرورة التعامل مع مثل أولائك الأشخاص بكثير من التعاطف والإنسانية وبالكثير من المحبة. المحبة الحقيقية وليس الشفقة التي هي أيضًا من الأمور المؤلمة،

هذا ما كان عليه رأي كاتب المقال.

أما عن رأيي الشخصي بما أورده الكاتب فأنا أرى بأن ما يُمكن أن يجلب السكينة لقلوب من فقدوا نعمة البصر هو في المقام الأول الإيمان بالله تعالى والرضى بالقضاء. وهو في المقام الثاني التعامل

الإنساني والتعاطف الذي يجب أن يلقونه ممن حولهم. وبما بإمكانهم القيام به بفضل تشجيع من حولهم، لتأسيس حياة خاصة بهم، باستخدام طاقاتهم الكامنة وبما قد يكون لديهم من كثير من المواهب التي يمكن الاستفادة منها في التغلب على عجزهم.

عدم التعامل الإنساني والقسوة البشرية

للكاتب لوميرأشبورن

لو راقب أحدنا البعوضة فسوف يجد بأنها تُسدد لكي تُصيب بوخزها المكان الذي قد يُهدد حياتها، أما الشخص الخبيث الذي يجرح مشاعر الآخرين فهو بما يتسبب به من أذى للآخرين يختلف حتى عن مثل تلك الحشرة السامة.

ومن المؤسف أن يكون هناك في المجتمعات بعض الأشخاص الذين يُصيبون ا لآخرين بأسهم سموم الكراهية والويل الويل لمن تصيبهم تلك الأسهم السامة.

فالقلب الذي يمكن أن يبتهج بالتلفظ بما يجرح الآخرين، أو بما قد يؤدي لإثارة الشكوك والأفكار السيئة عنهم، يجب ألا يعتبر على الإطلاق قلباً بشرياً. وبرأيي أن مثل هؤلاء الأشخاص يستحقون أن ينبذهم المجتمع، وبأن الأسلوب الوحيد للتعامل معهم هو الابتعاد عنهم وبتجاهل وجودهم وبصمّ الآذان عن كل ما يتفوهون به من أحاديث حاقدة.

المبدأ الأخلاقي والمصلحة المادية

للكاتب أمبروس بيرس

كان المبدأ الأخلاقي قد قابل ذات يوم المصلحة المادية على جسر ضيق لا يتسع سوى لمرور شخص واحد. قال المبدأ الأخلاقي :

ابتعدي أيتها الحقيرة عن هذا الجسر ودعيني أكون أنا من سيمر ."

لكن كل ما فعلته المصلحة المادية كان أنها قد نظرت إليه ولم تجب ولم تتحرك من مكانها.

قال المبدأ الأخلاقي من جديد ولكن ببعض التردد:

"دعينا نُجري القرعة لكي نرى من الذي سيكون عليه الانسحاب لكي يمر الآخر."

ظلت المصلحة المادية على صمتها المُطبق وعلى وضعها الثابت.

وبذلك قال المبدأ الأخلاقي "لا بأس لا بأس، دعينا إذن أن نتفق سوف أستلقي وأدعك تمرين من فوقي."

وكانت المصلحة المادية حينذاك قد خرجت عن صمتها وقالت:

"لست أعتقد بأن بإمكانك السير بشكل جيد وأنا لا أهتم بشكل خاص بمن ستطأه قدماي، ولكن ماذا لو تمكنت من بعد ذلك من الخروج من المياه؟

حدث الأمر بهذا الشكل، ذلك لأن المصلحة المادية كانت في الحقيقة ترغب بالقضاء نهائياً على المبدأ الأخلاقي.

مخاوف التقدم بالسن

للكاتب آرثر بينسون

وهكذا تمضي بنا سنوات الحياة ونجد بأننا قد تقدمنا فجأة بالسن، وكثيراً ما يجعلنا هذا نشعر بالخوف من انقضاء أيام الشباب ومن كثير من الأمور الأخرى.

لاشكّ بأن مثل تلك المخاوف مُتعبة بحدّ ذاتها لأنها تكون عادة غير محددة وغير واضحة على الإطلاق، فهي قد لا تظهر كمخاوف وإنما تتجلّى بفقدان المقدرة والحيوية وقد ترتبط بأكثر التفاصيل اليومية العادية التافهة وتُضخّمها إلى أن يُصبح من الصعب التغلب عليها.

فعلى سبيل المثال: كان أحد أصدقائي ممن تقدموا بالسن قد أسرّ إلي ذات يوم بأن السفر إلى الخارج الذي كان من وسائل المتعة بالنسبة إليه، قد أصبح في الوقت الحاضر مُضجراً ومقلقاً، وأضاف بأنه يبدو تقريباً ممتعاً بمجرد انطلاقه في رحلته ، لكنه ولأيام تسبق الانطلاق في رحلته يظل فريسة لجميع أشكال المخاوف وعندما سألته:

"ولكن ما هي تلك المخاوف؟"

أجابني: "قد يبدو تقريباً من السخف أن أشير إلى مثل تلك الأمور، لكنني في الواقع أجد نفسي تحت الضغط، وأشعر بأنني ولأسابيع تسبق ذلك فريسة للقلق، فأنا أتساءل إلى أين عليّ أن أذهب؟ وما هو القطار الذي علي أستقلّه؟ وهل سأتمكن من إيجاد المكان المناسب فيه؟ ... إلخ"

كما أذكر أن إحدى صديقاتي كانت قد روت لي بأنها عندما كانت ذات مرة قد ذهبت لزيارة منزل زوج من الأشخاص من ذوي المكانة الاجتماعية، والثراء في لندن استقبلتها ابنتهما بأن قالت على الفور:

"أنا سعيدة لمجيئك هذا الصباح. والدتي مضطربة جداً قد يكون بإمكانك أن تُدخلي بعض البهجة إلى نفسها، فسوف نذهب غداً في رحلة إلى بيتنا الريفي. سبق وأرسلنا الأثاث والخدم هذا الصباح وسوف

ينطلق والدي ووالدتي بعد ظهر اليوم."

سألتها باستغراب:

"ولكن ما الأمر؟ ولِم تشعر والدتك بذلك الاضطراب والقلق؟"

وكانت قد أجابتني :

"لأن والدتي تخشى عدم وصولهما إلى هناك في الوقت المناسب."

سألتها من جديد وقد اعتقدت أن لديهما بعض الارتباطات الهامة أو أي التزام بموعد هام جداً:

"ما الذي تقصدينه بالوقت المناسب؟"

وكانت قد أجابتني بما جعلني أشعر بالدهشة:

"إنه موعد تناولهما الشاي هناك".

قد تُثير مثل تلك الأمور الضحك لكنها في الواقع ليست بالمخاوف العادية وإنما هي في الحقيقة ما يُشير إلى نوع من فقدان الحيوية والنشاط، فهي مؤشرات وظواهر وعلامات وليست مُسببات للمرض كما أنها ليست بما يمكن أن نعتبره اضطراباً في التفكير.

قد يشعر من هم في سن الشباب بالضيق أو بالتوتر أمام ما قد يجدونه من اختلاق كبار السن لمثل تلك المخاوف عن عَمد، لكن عليهم في الحقيقة أن يتحلّوا بالحلم وأن يعمدوا إلى أسلوب التهدئة والتعاطف مع ضعف أعصاب الشخص الذي أمامهم.

وهناك أيضاً من مثل تلك المخاوف، ما بإمكاننا أن نُصنّفه بين جميع المخاوف غير الحقيقة أو الواقعية التي لا تقل في تأثيرها المؤلم عن غيرها من المخاوف، ومنها الخوف والقلق على الصحة الذي قد يُسيطر على تفكير كبار السن طوال حياتهم، والذي قد يكون في بعض الحالات مزعجاً للغاية بالنسبة لمن حولهم من الأشخاص الأصحاء، خاصة عندما يجدون أحد أقاربهم مصاباً بالانهيار العصبي وبالصمت لمجرد التفكير بأنه يتقدم بالسن، أو بأن يُسيطر عليه الخوف من أن يصاب بنزلة برد أو بأحد الأمراض الخطيرة لو تناول بعض الأنواع المحددة من الأطعمة...إلخ.

هناك العديد من الأشخاص الذين عاشوا حياة طويلة وهم بكامل الحيوية والنشاط، والذين كانوا

من الأشخاص الأقوياء البنية ومن ذوي الاتزان النفسي إلا أنهم كانوا مع ذلك بعد تقدمهم بالسن قد توقفوا بشكل كامل عن ممارسة أية نشاطات جسدية وفكرية وفضّلوا العيش في عزلة تامة والنوم باكراً ... إلخ.

فأنا أذكر بأن أحد الأشخاص المُسنين كان طوال أشهر الشتاء يرتدي قبعة حتى داخل المنزل، خشية إصابته بنزلة برد، وحتى أنه عندما كان يستقبل بعض الأًصدقاء على العشاء كان يُبرر الأمر بنوع الهزل بأن يقول:

"لابد أن الأمر قد يبدو لكم غريباً، لكن من الحكمة اتخاذ الحيطة وتوخي الحذر لأننا لا نعلم ما الذي يمكن أن تتسبب به نزلة برد حادة."

وحتى أن أحد الأًصدقاء ممن كانوا من ذوي البنية القوية قد قال لي ذات مرّة بأنه كلما أوى إلى فراشه لا يتمكن من النوم لأنه يعتقد بأنه سوف يتعرض إلى أحد الأمراض الخطيرة.

دعوني أورد لكم أيضاً ما قاله الكاتب هانس أندرسون الذي كان يتميز بخيال واسع حيث كان قد قال:

بأنه كان عندما استيقظ ذات صباح، وجد بأن لديه تحت حاجبه الأيسر بثرة صغيرة ما جعله بعد قليل من التفكير يصل إلى الاستنتاج بكل كآبة بأن تلك البثرة سوف تكبُر وسوف تؤدي إلى حجب النظر عن عينه. وكان أحد الأًصدقاء عندما زاره في صباح ذات اليوم قد وجده يكتب بيد وقد وضع اليد الأخرى على عينه وعندما سأله عن السبب قال له بنوع من الاستسلام بأنه يتدرّب على الكتابة والقراءة بعين واحدة.

لذا فإن أول ما علينا هو معالجة مثل تلك الطريقة في تعذيب النفس بكل ما قد يكون فيها من سخف والتي قد تكون تقريباً من الحمق، لكن قد يكون لها مع ذلك تأثيرها السيئ على الأشخاص بحيث تحرمهم من الأهلية والفعالية.

فلو أطلقنا على تلك المخاوف تعبير عدم العقلانية وتعاملنا مع المُسنين على هذا الأساس فهذا لن يفيد في شفائهم، وإنما سوف يؤدي إلى تعميق أي مظهر من تلك الظواهر التي هي في الحقيقة مؤشرات

سطحية لبعض الضعف في الأعصاب؛ لأن ذلك الخوف الذي يتملكّهم سوف يرتكز على بعض التفاصيل التي قد لا تستحق الاهتمام والملاحظة.

ومع ذلك فإن مثل تلك الأمور قد لا تؤثر بذات الوقت على أي من القدرات الأخرى، فقد يتعرض البعض من أكثر الأشخاص ذكاء لمثل تلك التغييرات.

كما أن ن مثل تلك التغيرات في الحقيقة قد لا تُصيب أحياناً السيدات والرجال الذين يرتبطون بنوع من الأهداف ومن الالتزامات أو ممن لديهم ما يشغلهم من أعمال، لذا فإن أي نوع من أنواع العمل الهادئ وبالإضافة إلى التريّض والراحة بإمكانه أن يُعتبر برأيي أفضل علاج لمثل تلك الحالات.

وقد يأخذ ذلك القلق في بعض الأحيان مظهراً آخراً بحيث يتجلّى بالشك بتصرفات وبأهداف الآخرين، فقد يعتقد أحد الأشخاص بأن فشله كان نتيجة لمؤامرة من الآخرين، فلو كان من الكتّاب قد يعتقد بأن غيره من الكتاب يحاولون منعه من النجاح؛ لأنهم يعلمون بالمستوى الرفيع لكفاءته. ولو وجد أن هناك عدم إقبال من القراء على كتاباته فسوف يعزو ذلك إلى تغّير مفاهيم المجتمع أو إلى انصراف الناس إلى أمور تافهة.

أما السؤال الذي يطرح نفسه فهو كيف بإمكاننا أن نتجنب الوقوع تحت تأثير وسيطرة مثل تلك المخاوف ومثل تلك التهيؤات الغريبة، بما أننا جميعاً لابدّ أن نخطو نحو السن المتقدمة، لكي لا نتعرض لما تتسبب به من شقاء ومعاناة.

بإمكان كل منا بالطبع أن يعقد العزم على أن يتعاطف مع ما لدى الآخرين من معاناة ومشكلات وأن يُظهر اهتمامه بهم ذلك ؛ لأن الشخص الذي يتقدم بالسن يميل إلى الشعور بأهميته وبكرامته وباعتزازه بنفسه وإلى الشعور بأنه لا زال لديه دوره الفعال في المجتمع.

ومن ناحية أخرى على الشخص المُسن أن يتذكر بأن بإمكانه أن يحقق ذاته وأن يحصل على مكانته في المجتمع عندما يكون على استعداد لتشجيع من حوله ممن هم من جيل الشباب، وبأن يكون مُقدّرًا لمشاعرهم ولاختلافهم معه بالرأي. لكنه قد يواجه هنا بعض الصعوبة في أن يُجبر نفسه على تقبّل بعض الأمور التي قد لا يرغب في الحقيقة تقبّلها.

وبالنسبة إلى هذه النقطة بالذات لابدّ أن أشير إلى أن هناك الكثير من الأشخاص المُسنين ممن لا يتطلّعون إلى مثل ذلك التعاطف، أو أنهم حتى لا يتقبلونه، وهذا ما يجبرهم على الانسحاب من المجتمع والشعور بالحياء من وضعهم.

أشير إلى سيدة كانت ترغب دوماً بإثارة اهتمام من حولها ونادراً ما كانت تتحدث عن أي موضوع سوى عن نفسها وعن إنجازاتها ونشاطاتها، وما عليها من ضغوطات وكانت تفعل ذلك بصوت مرتفع لكي تبحث عن إعجاب واهتمام من حولها لكن النتيجة كانت أن من حولها كانوا قد اعتبروا ذلك من الأنانية ثم كان إعراضهم عنها قد جعلها بعد ذلك تنسحب من أية علاقات اجتماعية.

ومن أكثر الأمور التي قد تؤدي إلى ذلك النوع من الاضطراب العصبي لدى الشخص الذي يتقدم بالسن هو بألا يكون بإمكانه وهذا بشكل خاص بالنسبة لمن كانت لديهم فعاليات ونشاطات مُتميزة أن يتقبّل موضوع تناقص حويته ومقدرته، لذا فهو يحاول تمديد تلك الفترة من أوج النشاط لكي يعتقد بأن لا زال في سن الشباب.

ولعل أفضل ما يفعله المرء بأنه تقدم بالسن، وعندما يجد بأنه قد أصبح أكثر تباطؤاً وأكثر جبناً وأكثر قلقاً، هو أن يلجأ إلى استشارة صديق مخلص صادق وأن يتقبل الموضوع فلسفياً. كما أن عليه يجب أن يتذكر بأنه قام بدوره في الحياة وأن يتقبل بالتالي تضاؤل دوره في الحياة.

وهناك نصيحة عملية واحدة، ربما كانت الأكثر فائدة وهي اللجوء إلى الصلاة، وذلك بأن يطلب كل من يتعرض لهذا الشعور بالعجز، من الله تعالى دفع ذلك الخوف عنه وألا يكتفي بالاستسلام لليأس لأنه لم يعد يتمكن من القيام بالعديد من الأشياء التي كان يحبها.

على المرء أن يكافح ويقاوم ذلك المرض؛ لأنه مرض يصيب الجذور. علينا بالطبع أن نطلب من الله بأن يمنحنا الشجاعة، لكن علينا بذات الوقت أن نهتم ببعض الأمور التي تشغلنا وأن نُبعد عنا التفكير والخوف من تقدم السن وأن نحاول السيطرة عليه بأن نقوّي لدينا المقدرة على التأمل، فعلى الرغم من أن الإنسان قد فُطر على العمل في الهواء الطلق فهو أيضاً يدفع ثمن الحضارة وعدم الفعالية.

وأنا بالذات (ككاتب) أصاب بنوبات من الاكتئاب دون سبب لكنني في أوقات العمل وعندما يكون علي إنجاز الكثير من الأعمال، قليلاً ما أشعر بذلك الخوف من تقدمي بالسن.

لذا فمن المفترض أن يجد كل شخص يشعر بالقلق ما يقوم به من عمل ولو لساعة واحدة في اليوم، وعليه أن يعرف مقدار قيمة الانشغال، وأن يعمل على السعي لذلك.

ولا داع لأن نقول فقط:

كم كنت سعيداً في السابق؟

كم آسف لم أكن أعرف قيمة السعادة التي كانت أمامي؟

وكم أنا حزين ومُبتلى...إلخ.

فقد تدور مثل تلك الأفكار التي في ذهن الشخص المسن. لذا فكما يقول المثل القديم "العمل صلاة"، والحقيقة أنه ليس بإمكان المرء أن يتخلى عن "الصلاة والعمل"؛ لأن العمل هو عزاء المرء وهو ما يمنحه البهجة، وهو ما يعطي القيمة لحياة كل منا.

مقارنة بين أساليب التخلي عن الطموحات والآمال لدى كبار السن وبين من هم في سن الشباب

للكاتب ريتشارد كينغ

عندما يقول من هم في سن الشباب لأمر ما "وداعاً" فلابدّ أن يكون ذلك دوماً لتخليه عن أمر بالغ الأهمية أو لأن الأمر يبدو له كذلك على الأقل.

أما الشخص المُتقدم بالسن فعلى الرغم من أن لا أحد يشكّ بذلك فهو عندما يقول: "وداعاً"، وعندما يتخلى عن أمر ما فليس هذا دوماً لسبب بالغ الأهمية، ولكن لأنه يعلم ولأنه يشعر - وأسفاه - بأن القليل من الأمور، وبأن القليل من الأشياء لا تزال لها أهميتها بالنسبة إليه، وبأن القليل جداً من المباهج اليومية التي كانت تسعده في سنوات الشباب قد تتكرر من جديد، أو ربما أنها قد لا تتكرر غداً أو في العام المقبل.

ذلك لأن الشخص المُسن يشعر بأنه ليس بإمكانه أن يقول: "سوف أفعل ذلك"؛ لأن هذه العبارة التي يقولها أي شاب تصبح بالأحرى بالنسبة إليه "قد يكون بإمكاني أن أفعل ذلك."

لذا فعندما يقول كبار السن "وداعاً" وعندما يتخلون عن كثير من الأمور، فهم يقولون ذلك سراً في قلوبهم بكل هدوء واستسلام بحيث لا يسمعهم أحد وبحيث لا يشعر أحد بمعاناتهم.

الشخص المتقدم لديه الكثير من الكرامة، وهو شخص أبيّ للغاية.

قد يعتقد من لا يزال في سن الشباب في كثير من الأحيان وهو يشاهد الابتسامة التي ترتسم على شفاه المُسنين، والتي يُخفي وراءها دموعه، أن بإمكان الشخص المتقدم بالسن ألا يشعر بالحزن لتقدمه بالسن؛ ذلك لأن من هو في عنفوان سن الشباب يكون عادة بطبيعته قوياً ومتحرّراً للغاية كما أنه ينبذ جداً كل ما يمكن أن يُقيده، لذا فليس بإمكانه أن يُدرك معنى الدموع التي يخفيها المتقدم بالسن والتي يقوم بتجفيفها بسرعة، وقد يقول:

"لِم على الشخص المتقدم بالسن أن يُجفف دموعه؟"

أو قد يقول:"لِم على المتقدم بالسن أن يأسف على ما مضى؟ فهو على كافة الأحوال قد عاش حياته،

وحصل على كامل حصته منها"، وقد يقول:"كم سيكون من الخبل أن يُقاوم المرء الظلال عندما تسقط عليه."
وعندما يسمع المتقدم بالسن تلك الملاحظات لن يقول شيئاً ؛ لأنه يعلم بأنه ليس بإمكان من هم في سن الشباب أن يُدركوا سوى القدر اليسير مما يجول في أذهان من تقدموا بالسن، وبالإضافة إلى ذلك فإن الشخص المتقدم بالسن يخشى السخرية، وهذا ما قد يجعل من هم في سن الشباب يخطؤون أحياناً في تفسيرهم لمثل ذلك الموقف أو قد يعتبروه أيضاً من الحسد.
لكن الحقيقة هي أن الشخص المتقدم بالسن لا ولن يشعر بالحسد تجاه من هم في سن الشباب، كما أنه لا يتمنى أن يعود شاباً من جديد.
نعم نعم، وألف نعم، الشخص المُسن لا يتمنى على الإطلاق أن يعود شاباً لكي لا يتقدم بالسن من جديد، لا... وألف لا... ذلك لأن من الصعب على من تعلّم الدرس أن يُمن ليست التجربة المريرة مرتين.
ولاشكّ أن تقبّل الانسحاب من الحياة من الأمور العسيرة جداً على من ليست لديهم الرغبة بخوض تلك المعركة من جديد. لذا فهو يعتبر موقفه ذاك نصراً له، نصر لا يُعادله شيء على وجه الأرض، وبأنه ليس هناك من بإمكانه أن ينتزعه منه، وبأنه نصر وظفر كلّفه التوصل إليه الكثير من الدموع المخفية، الكثير من الآلام المكبوتة، الكثير من الشجاعة التي لا يرتاب بها أحد. والكثير من الذكريات المؤلمة.
الشخص المسن لا يشعر بالغيرة ممن هم في سن الشباب. وإنما قد يُغبطهم على سذاجتهم، وقد يُغبطهم على نشاطهم وعلى مقدرتهم البدنية، وعلى القدر الكبير الذي يتمتعون به من الثقة بالنفس ومن الحيوية، لكن الشخص المُسن لا يشعر بالغيرة من الشبان، ولا يحسدهم على الحقيقة المجردة بأن يكونوا في سن الشباب.
الشخص المسن يعلم ما الذي ينتظر من الذين لازالوا في سن الشباب عندما سيتقدمون بالسن، وبذلك وبمثل تلك المعرفة لايحسد من هم في سن الشباب، وكما يُقال:
"للفجر جماله وبهاءه وتألقه لكن الشفق والليل لابدّ أن يأتيا في آخر الأمر ويلفا النهار المشرق بالعتمة والغموض."

مقارنة بين تقدم السنّ وسنّ الشباب

للكاتب فرانسيس بيكون

قد يكون الشخص شاباً بالنسبة إلى ساعات الحياة التي عاشها، وهذا بالطبع إن لم يكن قد أضاع وقته دون أن يُحقق ذاته. لكن هذا الأمر نادراً ما يحدث، وبشكل عام بإمكاننا أن نقول بأن سن الشباب أشبه بالتأملات الأولى التي قد لا تكون بذات درجة الحكمة التي تصبح عليها عندما يصل الشاب إلى سنّ النضوج.

هناك شباب في التفكير كما أن هناك شباب في عدد سنوات الحياة. ومع ذلك فإن الطاقة المفعمة بالحياة والقدرة على الإبداع يكونا دوماً أكبر لدى من هم في سن الشباب وأكثر مما يكونا لدى المتقدمين بالسن، كما أن تدفق الخيال في سن الشباب يكون أيضاً أفضل وأكثر إبداعاً لأن الشباب هم عادة أكثر حماساً، ولأن تطلعاتهم تكون بذلك أشد اتقاداً، ولكن قد يكون لديهم أيضاً في بعض الأحيان الكثير من التشويش نتيجة ذلك الحماس بحيث يجعلهم يفتقدون بعض الشيء إلى النضج في التصرف إلى أن يجتازوا تلك الفترة من الذروة في سنوات الحياة.

ومن ناحية أخرى فبإمكان من هم في سن الشباب أن يُحققوا مع ذلك الكثير من الانجازات، لذا فقد يكون ذلك العنفوان والحيوية والحماس في سن الشباب من الأمور الممتازة في مجال الأعمال؛ لأن حماس الشباب وما قد يكون لديهم من قدرة على الإبداع قد تثبت فعاليتها أحياناً أكثر من المحاكمة العقلانية.

وتكمن أخطاء من هم في سن الشباب في استعجالهم أحياناً للأمور، لكن أخطاء المسنين قد تعادلها؛ لأن بعض الأمور يجب أن تُنجز بأكثر من السرعة.

وقد يقوم من هم في سن الشباب بأمور قد تتجاوز طاقتهم أو دون مراعاة الإمكانيات المتاحة لهم أو بأساليب قد تتطلب قدرا أكبر من الأناة، أوقد يكون ذلك نتيجة إتباعهم بعض القواعد التي قد يكون

عثورهم عليها بالصدفة، والتي لم تثبت فعاليتها بالتجربة، وهو أمر قد يؤدي إلى بعض العوائق والأخطاء وبالتالي إلى الفشل في العمل.

أما الأكبر سناً فهم يلجئون كثيراً للاستشارات، ولا يميلون إلى المغامرة وهم قد يتخلون عن التطوير السريع في العمل كما أنهم قليلاً ما يديرون المشاريع إلى نهايتها وقد يكتفون بتحقيق بعض النجاح فقط.

لذا فإن من الجيد أن تتضافر جهود الطرفين في الأعمال، لأن في ذلك الاستفادة مما لدى المسنين من حكمة ومن تجربة، ومن حماس الشباب وطموحهم وبما لديهم من إمكانية للإبداع، كما أن تضافر الجهود يكون دوماً فرصة لكي يتعلم الشبان من تجربة من هم أكبر سناً.

أما بالنسبة للناحية الأخلاقية فيجب أن يعلم من هم في سن الشباب بأن كبار السن هم أكثر حكمة؛ لأن التجربة أهم الأحلام ومن المؤكد أن المرء كلما تعمقت تجربته في الحياة كلما ازداد تفهمه لها.

تأثير الكلمات على الآخرين

للكاتب ت.ش.آرثر

قد يكون للكلمات في بعض الأحيان وقعها المؤلم على نفوس الآخرين، وبما أننا قد لا نتمكن أحياناً من منع أنفسنا من التفوّه بها، لذا علينا أن نفكر مرتين قبل أن نتحدث. قد يكون هذا الأمر تافهاً لكن فيه الكثير من الحكمة.

قالت عمتي راشيل المتقدمة في السن بتوتر:

"من السخف أن تُجرح مشاعر الشخص لمجرد كلمة واحدة، فهذا يعني ألا يكون بإمكان المرء أثناء تعامله اليومي مع الآخرين أن يتفوّه بأية كلمة دون أن يخشى أن تتسبب بجرح مشاعرهم."

وكنت قد ابتسمت وقلت:

"لكن الكلمات تعتبر من الأمور الهامة التي لها تأثيرها الكبير على الآخرين."

أجابت عمتي: "لكن قد يكون ما قيل ليس أكثر من كلمة عابرة، ولابدّ أن يكون الشخص بالفعل في غاية الحساسية والرّقة لكي تجرحه مجرد كلمة عابرة واحدة؟"

أجبت: "لكن كلمة بسيطة قد تجرح بعمق لو أنها وقعت في موقع حساس مثلها مثل أية مديّة حادة."

قالت عمتي: "الحقيقة أنني لست أميل إلى التعامل مع الأشخاص الذين لديهم مثل ذلك الإحساس المرهف إلى هذا الحد، فأنا على سبيل المثال لن يجرح مشاعري ما قد يقوله أحدهم، لا أبداً ! فهل سيكون على المرء أن يحرص وأن يتحفّظ دوماً في حديثه في كل كلمة يقولها خشية أن يكون فيها ما قد يجرح مشاعر أحدهم."

قلت: "أعتقد أن الأمور يجب أن تكون بهذا الشكل؛ لأن علينا أن نأخذ في اعتبارنا بأن الأشخاص الذين

لديهم مثل ذلك الإحساس المرهف لابدّ أن يتفاعلوا مع أية كلمة قد تجرح أحاسيسهم ومشاعرهم، ومادام الأمر بهذا الشكل أليس علينا أن نراعي مثل ذلك الضعف هذا لو أردت أن تعتبرينه أنت كذلك؟ من الصعب على المرء أن يحتمل كل من الألم الجسدي ومن الألم النفسي على السواء، لذا ليس علينا أن نتسبب للآخرين بالأذى دون مراعاة لمشاعرهم وبدون سبب."

أجابت عمتي: "لكن الأشخاص الذين هم بهذه الحساسية يصبحون دوماً أكثر انفعالية وقد يكون من الأفضل لهم أن يلتزموا منازلهم وأن يُغلقوا أبوابهم كي لا يكون عليهم التعامل مع الأشخاص العاقلين ذوي المزاج الجيد.

ولو تعلق الأمر بي فبإمكاني أن أقول لهم بكل صراحة بأنني لن أقوم بانتقاء كل كلمة أقولها في كل جملة أتحدث بها كما لو أن علي أن أستخرج البذور من الزبيب، ولندعهم يكسرونها بأسنانهم إن يكن بإمكانهم ابتلاعها كما هي."

وكانت عمتي قد استمرت بذلك الأسلوب في التحدث إلى أقصى مدى.

لاشكّ أن عمتي كانت بشكل عام سيدة طيبة ونقية النفس، لذا كان من السهل علي أن أدرك بأنها كانت آسفة؛ لأنها جرحت إحساس صديقتنا ماري لين، لكنها لم تكن مع ذلك ترغب بالاعتراف بأنها كانت أخطأت؛ لأن في ذلك ما قد يُقلّل مما لديها من اعتزاز بنفسها. وبما أنني كنت أعلم طباعها جيداً فقد وجدت بأن من الأفضل ألا أستمر بذلك النقاش حول أهمية ما نقوله للآخرين. وبذلك قمت بتفادي الموضوع الذي كنا نتحدث به.

لكن عمتي كانت تعود من حين لآخر إلى التطرّق لذات الموضوع. وكانت في كل مرة تزداد ليناً تجاه ماري، إلى أن قالت أخيراً:

"أنا متأكدة بأن الأمر كان في غاية البساطة. نعم، هو دون شكّ أمر بسيط جداً. كان بإمكان ماري أن تدرك بأنني لم أكن أقصد بما قلته ما قد يسيء إليها وعلى الإطلاق."

أجبتها: "عمتي، هناك بعض الأمور التي ليس بإمكان المرء أن يحتمل أقل إشارة ضمنية أو أي تلميح مفاجئ أو أية صلة بها، قد تضعه خارج الحماية التي وضع نفسه فيها أو أنها قد تضعه في وضع

الدفاع عن النفس، أعتقد بأن ما قلته لماري كان بجميع الاحتمالات قد لمس بعض نقاط الضعف في شخصيتها أو قد يكون قد حرّك في نفسها جرحاً لم يكن الوقت كافياً لجعله يندمل تماماً. كنت أعلم دوماً بأنها فتاة حساسة للغاية وبأنها لا يمكن أن تتسبب على الإطلاق بأي إزعاج لأصدقائها.

قالت عمتي: حسناً، أنا أؤكد ما كنت أقوله دوماً بأنني لا أميل إلى التعامل مع الأشخاص الذين لديهم نقاط ضعفهم، بحيث تُجرح مشاعرهم بمجرد كلمة كما لو أن الكلمات هي بالفعل أشبه بالسيوف.

قلت: عمتي! لكن لدى كل منا مع ذلك نقاط ضعفه، وحتى أنت لست خالية من ذلك.

قالت عمتي بتعالي: أنا؟!

أجبت "كما أن أية إشارة إلى ذلك قد تجعلك تعانين كثيراً.

قالت عمتي بجديّة وكانت قد تأثرت جداً بكلماتي رغم أن ما قلته لم يكن سوى بضع كلمات تافهة: " فلتعلميني إذن أين تقع نقاط الضعف التي تتحدثين عنها.

أجبت: "أرجو المعذرة عمتي فقد يكون ذلك من غير المناسب على الإطلاق لكنني أردت الإشارة فقط إلى أمر ينطبق على كل منا."

كان لكلماتي تلك تأثيرها الكبير على عمتي لأنني كنت قد لمست ما يشير إلى نقطة ضعف حقيقية في شخصيتها وكان ذلك قد آلمها. كانت نقطة الضعف تلك في تقييمها لنفسها بشكل خاص، على الرغم من أن ما قلته لم يكن بما يسيء إليها بالذات، وإنما كانت كلماتي تُعبّر بشكل عام عن حقيقة واقعية هي بأن لدينا جميعًا نقاط ضعفنا ، وبأن ذلك يشملها هي أيضاً. لكنها كانت قد اعتقدت بأنني بذلك أشير إلى عيب في شخصيتها، وهذا ما أثبت لي بأن كلماتي كانت قد جرحت مشاعرها.

كانت عمتي قد ظلت لمدة يوم أو يومين أكثر جديّة من عادتها. وكنت أعلم بالطبع السبب في ذلك، لكنني لم أكن قد حاولت أن أزيل عن نفسها أي أثر كانت قد تركته كلماتي عليها.

وكنت بعد مرور أسبوع قد قلت لها أُثناء حديثنا:

أتعلمين عمتي شاهدت هذا الصباح والدة ماري لين.

نظرت إلي السيدة العجوز ولكن كان كل ما قالته: حقاً؟

ثم أضفت: "لست أستغرب بأن تكون كلماتك قد جرحت مشاعر تلك الفتاة البائسة."

حينئذ سألتني عمتي بسرعة:

"لماذا؟ وما الذي بما قلته ما قد يجعلها تشعر بكل هذا الأسف؟

أجبت: "كنت قد قلت لها بأنها فتاة ناكثة للعهد."

أجابت عمتي: "لكن لم يكن ذلك سوى دعابة ، وكانت ماري تعلم ذلك، فأنا لم أكن أقصد بالفعل أية إساءة إليها لذا فأنا أستغرب أن تكون بذلك الخبل.

وكانت إجابتي: "لن تشعرين بالدهشة لو علمت تفاصيل الموضوع الذي كنت قد أشرت إليه بكلماتك.

بدت على عمتي علامات الارتباك وقالت:

"التفاصيل؟ ولكن ما هي تلك التفاصيل؟ أؤكد بأنني لم أكن أقصد جرح مشاعر تلك الفتاة البائسة."

قلت: "لا أحد يلومك عمتي، كما أن ماري تعلم بأنك لم تكوني تقصدين ذلك."

قالت عمتي من جديد: "لكن لم أفهم لماذا كانت قد أخذت تلك الكلمة بمثل ذلك الاهتمام؟ ولمَ تأثرت بها إلى هذا الحد؟ لابد أن في ذلك الكثير من الحقيقة وأكثر مما افترضت."

قلت: "عمتي، هل علمت بأن ماري كانت قد رفضت الأسبوع الماضي عرض الزواج الذي تقدم به إليها والتر غرين؟"

سألتني عمتي باستغراب:

"لم فعلت ذلك! لا، هذا ليس ممكنناً! هل رفضت الشاب والتر غرين؟ كانا على تواصل وتوافق لمدة طويلة."

أجبت"أعلم ذلك."

قالت عمتي: "كما أنها كانت قد شجعته على ذلك."

قلت: "أعتقد بأن هذا من المؤكد."

حينئذ هتفت عمتي "هل يُعقل هذا؟ فإذن لم كانت قد تخلّت عن ذلك الشاب ونقضت عهدها

معه؟"

أجبتها: "هذا ما قيل عنها لكن وبحسب ما بلغني من معلومات، فقد كانت ماري بالفعل متعلقة بذلك الشاب، وقد تسبب لها رفضها عرضه الكثير من الألم، أما سبب رفضها الزواج منه فهو لأنها كفتاة تتميز بالحكمة تعتبر الزواج من أهم الأمور في الحياة، وقد رفضت الارتباط بذلك الشخص لأنها عندما تعرفت عليه عن قرب أدركت بأنه لا يتحلى بالمبادئ الأخلاقية التي يمكن أن تجعلها توليه ثقتها التامة.

قالت عمتي بحماس: "لكن كان عليها ألا تُشجعه إن لم تكن تنوي الزواج منه."

وأجبت: "كانت قد شجعته بالفعل ، ولكن ذلك كان خلال فترة تعارفهما استطاعت أن تكتشف بعض النقاط المخفية في شخصيته، وكذلك مع الأسف إلى أن توصلت إلى اكتشاف نقاط الضعف تلك في شخصيته قد ارتبطت به إلى حد كبير.

ومع ذلك، وبصفتها امرأة صادقة، كانت قد رفضت عرضه للزواج رغم ما تسبب لها ذلك من ألم، لذا لم يكن في تصرف ماري لين أي خزي، لأنها لم ترغب بأن تبدّد الوقت أكثر من ذلك مع شخص لا تتوافق معه؛ لأنها كانت تعتبر ذلك جريمة.

أعتقد أن بإمكانك الآن أن تدركي كم كان من المؤلم أن تسمع من يطلق عليها صفة "ناكثة للعهد". للكلمات في بعض الأحيان أثرها على النفس أكثر من ضرب السيوف. هل فهمت الآن الموقف عمتي؟

أجابت السيدة العجوز : "نعم نعم، بإمكاني الآن أن أفهم ما لم أكن قد أدركته تماماً في السابق لذا سوف أحاول أن أكون في المستقبل أكثر تحفظاً بما أوجهه من كلمات للآخرين. ربما كان الوقت قد تأخر بالنسبة إلي بعض الشيء كي أتعلم هذا الدرس من الحياة، ولكن لم يفت الوقت فبإمكاني التعلم من الحياة ما هو مفيد، مسكينة ماري! يؤلمني جداً أن أكون قد تسببت بجرح مشاعرها إلى ذلك الحدّ."

أسلوب التعامل في الحياة

للكاتب ب. أسبورجونسن

كان رجل قد ذهب ذات يوم إلى الغابة لكي يقطع بعض الأخشاب لكي يصنع منها سارية خشبية، لكنه لم يتمكن من العثور على أية أشجار مستقيمة وطويلة كما كان يرغب. وكان قد تابع تجواله إلى أن وصل إلى هضبة مرتفعة وجد عليها كومة كبيرة من الصخور، وعندما اقترب من تلك الكومة من الصخور كان قد

سمع صوتاً أشبه بالأنين والنحيب كما لو أن أحدهم كان يفارق الحياة.

أسرع الرجل بالاقتراب إلى المكان الذي سمع منه ذلك الأنين لكي يرى فيما إذا كان هناك من هو بحاجة إلى المساعدة، وبذلك تبيّن له أن ذلك الصوت كان صادراً من تحت صخرة كبيرة تقع في أعلى تلك الكومة من الصخور. أراد أن يُحركها من مكانها، لكن الصخرة كانت كبيرة جداً وثقيلة الوزن جداً بحيث يتطلب تحريكها تضافر جهود عدة أشخاص أقوياء البنية.

فكر الرجل للحظة ثم أسرع بالعودة إلى تلك إلى الغابة حيث قام بقطع جذع شجرة صنع منه سلماً استطاع بواسطته الوصول إلى أعلى الصخرة وقام تحريكها من مكانها بكل ما أوتي من قوة، وكان تنين كبير قد زحف فجأة من تحت تلك الصخرة واقترب من ذلك الرجل وكان على وشك أن يفترسه.

أخذ الرجل يتوسل إليه، ويقول:

ألم أكن قد أنقذت حياتك؟ أليس من المعيب أن تفعل ذلك."

لكن التنين قال:

"ربما كان ذلك صحيحاً، لكن عليك أن تعلم بأنني أتضور جوعاً، فقد أمضيت مئات السنين تحت تلك الصخرة، كما أنني لم أكن قد تذوّقت طعم اللحم طوال حياتي. عليك أن تعلم أيضاً بأن هذا هو قانون الحياة، وأن هذا ما يفعله الناس كما أنها الطريقة التي يُسددون بها ما عليهم من ديون للآخرين.

وكان ذلك الرجل البائس قد حاول أن يدافع عن نفسه بجرأة وإصرار ثم بدأ يتوسل للتنين ويرجوه أن يمنحه فرصة أخيرة قد تنقذ حياته، إلى أن اتفقا على أن يحتكما إلى أول مخلوق حيّ سوف يقع نظرهما عليه، وذلك خلال مهلة لن تتجاوز اليوم الواحد، فلو كان رأي ذلك المخلوق مُطابقاً لما قاله التنين عن أسلوب التعامل في الحياة فسوف يفقد الرجل حياته لكن لو كان رأيه خلافاً لما قاله التنين فسوف يتحرر الرجل من قبضة التنين ولن يفترسه.

كان من شاهداه هو كلب صيد عجوز كان يركض على الطريق المؤدي إلى الهضبة. رويا له القصة وطلبا منه أن يحكم بينهما. قال ذلك الكلب العجوز:

"يعلم الله بأنني كنت قد خدمت سيدي بكل إخلاص منذ كنت جرواً صغيراً، كنت أسهر طوال الليل وأنا أحرس وأحرس المكان، بينما كان سيدي ينام في فراشه الدافئ".

وقال أيضاً: "كنت قد أنقذت منزله مرتين من النيران وكذلك من اللصوص، أما الآن وبعد أن تقدمت بي السن ولم يعد بإمكاني بكل أسف لا أن أرى جيداً ولا أن أسمع جيداً، فقد أصبح سيدي يرغب بإطلاق النار علي كي يقتلني، وبذلك كان علي أن أهرب وأن أهيم على وجهي وأن أتسلل من منزل لآخر باحثاً عما يُقيتني من طعام كي لا أموت جوعاً.

ثم قال :"لاشك أن التنين على حق، فهذا هو الأسلوب الذي تسير به الأمور في الحياة، وهذه هي الطريقة التي يتم بها سداد الدين وردّ الجميل".

حينئذ قال التنين لذلك الرجل البائس: "أترى؟ كنت على حق سوف افترسك الآن."

وكان قد اقترب منه لكن الرجل عاد يتوسل إليه من جديد إلى أن اتفقا على أن يتم الاحتكام مرّة أخرى إلى أول مخلوق آخر سوف يمر بالمكان، فلو كان ذلك المخلوق سيُردّد ما قاله التنين فسوف يأكل التنين الرجل، ولو أنه خالفه في الرأي فسوف يذهب الرجل في طريقه سالماً.

شاهدا بعد ذلك حصاناً يركض نحو الهضبة وهو يعرج على إحدى قوائمه. أسرع الرجل باستدعائه لكي يحكم بينهما وكان الحصان قد قال:

خدمت سيدي لسنوات بكل إخلاص وبكل ما لدي من مقدرة. كنت أحمل الأشياء وأسحب الأثقال. عملت لديه أشبه بالعبد وأعمل بكل ما لدي من مقدرة لكي أرضيه، رغم ما ألقاه من مشقّة كانت تجعل العرق يسيل من كل شعرة من شعر رأسي. عملت لديه إلى أن أصبحت أعرجاً لكن سيدي عندما كنت قد استهلكت بمرور الأيام، وعندما تقدمت بي السن قال لي ذات يوم دون أن يراعي مشاعري: "يبدو أنك لم تعد صالحاً للعمل بعد الآن، لذا لم تعد تستحق حتى ثمن قوتك اليومي، أعتقد بأن عليك الآن أن ترتاح، وهذا يعني بالطبع بأن كان علي أن أتلقّى تلك الرصاصة التي سُتنهي حياتي. نعم نعم، هذا هو بالفعل أسلوب التعامل في هذه الحياة، وهذه هي كيفية ردّ الجميل.

حينئذ قال التنين للرجل:

"أسمعت؟ انتهى الأمر سوف أفترسك الآن."

لكن الرجل عاد يتوسل إليه من جديد بأن يمنحه فرصة أخيرة.

لكن التنين المفترس جائع جداً لذا قال:

"علي أن أحصل ولو على قطعة من لحم آدمي."

لكن وقبل أن يفترسه، كان الرجل قد أشار فجأة إلى ثعلب ماكر كان قد تسلل بين الصخور لكي يسترق إليهما السمع وبذلك قال للتنين:

"انظر انظر، هناك من ينظر إلينا كما لو أن الله تعالى يرانا سله لكي يحكم بيننا. أنت تعلم بأن القاعدة العامة تقول أن صحّة الأمور يجب أن يتم بعد الاحتكام بتجربة ثلاث مرات من ثلاث، لذا دعنا نسأله عن رأيه. فلو كان رأيه بأن عليك أن تفترسني كما قال الآخرون، فسوف أكون على استعداد لأن أموت على الفور."

قال التنين الذي كان قد اقتنع بما قاله الرجل بأن التأكد من صحة الأمور يتم بتجربة ثلاثة من ثلاث :

"حسناً."

وبذلك روى الرجل للثعلب ما حدث بينه وبين التنين كما فعل مع الآخرين. قال الثعلب:

"نعم نعم، فهمت الأمر تماماً."

وكان الرجل لدى سماعه ما قاله قد خشي أن يُدلي الثعلب بذات الحكم بينهما لذا أخذ الثعلب جانباً وقال له:

"لو نجوت، ولو استطعت تحريري فسوف أصطحبك إلى منزلي وسوف تكون كل ليلة ثلاثاء السيد على كل ما لدي من دجاجات ومن طيور ومن إوز بحيث يكون بإمكانك أن تأكل منها ما تشاء."

وبذلك قال الثعلب الماكر للتنين:

"حسناً، أيها التنين العزيز. أنا أرى بأن من العسير جداً أن تطقطق رقبة هذا الرجل، ومن ناحية أخرى ليس بإمكاني أن أفهم كيف بإمكانك وأنت هذا الحيوان الكبير القوي أن تظل مُحتجزاً طوال تلك المدة تحت تلك الصخرة."

قال التنين: "ألست تصدق ذلك؟ حسناً سوف أفسر لك الأمر. كنت قد استلقيت تحت تلك الهضبة لكي أستمتع بأشعة الشمس. لكن حدث ذات يوم انهيار صخري فاندفعت تلك الصخرة وسقطت علي."

قال الثعلب الماكر:

"قد يكون ذلك صحيحاً، لكنني لازلت لا أتمكن من فهم كيف كنت تحت تلك الصخرة! ولن أصدقك إلى أن أرى ذلك بنفسي."

حينئذ قال الرجل للتنين بأن من الأفضل أن يثبتا صدقهما للثعلب.

وكان التنين بذلك قد زحف نحو الفجوة التي كان محتجزاً فيها لكي يُثبت للثعلب صحة كلامه، ثم قام الرجل والثعلب الماكر بلمح البصر بسحب ذلك السلم ورميا من جديد تلك الصخرة في الفجوة، وبذلك سقطت على التنين واحتجز التنين فيها.

ثم قال له الثعلب الماكر:

"عليك أن تبقى هنا الآن إلى يوم الحساب (القيامة). كنت تنوي أن تفترس هذا الرجل الذي أنقذ

حياتك؟ كنت تنوي أن تفعل ذلك أليس كذلك؟"

أخذ التنين يتأوه وينتحب ويتوسل ويطلب إخراجه من الفجوة، لكن الاثنان كانا قد غادرا المكان معاً وتركاه بمفرده.

ثم كان الثعلب قد جاء عشية يوم الثلاثاء بناءً على الاتفاق الذي تم بينهما، واختبأ خلف كومة كبيرة من الحطب، وبذلك لم تكن الخادمة التي جاءت لكي تطعم تلك الدجاجات والإوز قد رأته أو سمعت صوته. ظلّ الثعلب مختبئاً ثم كان على الفور من مغادرة الخادمة قد بدأ يأكل، ويأكل...ويأكل بكل نهم من تلك الطيور إلى أن أكل ما يكفيه لأسبوع إلى أن لم يعد بإمكانه أن يتحرك.

وفي صباح اليوم التالي، عندما أتت الخادمة لإطعام الطيور وجدته مستلقياً على ظهره نائماً تحت أشعة الشمس، وقد انتفخ لكثرة ما أكله من دجاجات بحيث أصبح أشبه بنقنقة كبيرة.

صاحت الخادمة على الفور وهي تُلوّح بعصاها الغليظة:

"اخرج اخرج، من هنا أيها الحقير."

وانضم إليها جميع أطفال الجوار كل منهم يحمل عصا وأخذ كل منهم يضرب بها الثعلب إلى أن كادوا يقضون عليه تماماً. وعندما خرج استطاع الهرب قبل أن يتم القضاء عليه بعد أن كان قد اعتقد بأن ساعته الأخيرة قد دنت.

وكان الثعلب قد وجد حفرة في الأرض وبذلك قفز بداخلها واختبأ إلى أن غادر جميع من كانوا يُلاحقونه بالعصا. وعندما خرج الثعلب من تلك الحفرة وهو يعرج قال وهو يتوجه نحو الغابة من جديد ويتأوه:

"نعم نعم، كان ذلك التنين على حق فهذه هي الطريقة التي يتم بها ردّ الجميل في عالمنا هذا.

أما تعليقي الخاص على هذا الموضوع فهو أن على الإنسان، الذي هو كما ذكرت المخلوق الذي يتميز عن جميع المخلوقات الأخرى بما لديه من أخلاق ومن صفات حميدة، أن يقابل دوماً الخير بالخير وأن يردّ الجميل بالجميل. فكما قال الله تعالى في كتابه الكريم:

{هل جزاء الإحسان إلا الإحسان}

أمل الرفاعي

ذكريات رجل مسّن

للكاتب ت.ش. آرثر

قال لي صديقي ذات يوم : "أنا لست متقدماً جداً بالسن رغم الشيب الذي تغلغل في رأسي وفي شعر لحيتي."

ولكنني أصبحت في كثير الأحيان أضطر للتوقف لبعض الوقت في زوايا الشوارع لكي أرتاح.

وكثيراً ما أجد أثناء تجوالي على غير هدى في هذه المدينة، أن خطواتي تتجه بي نحو الضاحية. وعندما أنظر إلى التغيير الذي طرأ عليها أشعر بالحنين إلى الغابات وإلى الحقول وإلى ما كان لدي في الماضي في سنوات حياتي الأولى من أصدقاء، وإلى الطريقة التي كنت أمضي بها أكثر ساعات أيام الصيف.

لاشك أن الكثير من المباني الضخمة المرتفعة والمساكن الجميلة قد ظهر الآن في المدينة، لكنني أجد نفسي مع ذلك مدفوعاً بقوة سحرية إلى المكان الذي كنت أعيش فيه في الماضي،

كنت أقتطف الفاكهة من الأغصان وأستلقي بين العشب وبين نباتات القمح الناضجة وأشعر بكثير من الراحة، أما الآن فهناك الكثير من التغييرات حدثت في هذه المدينة، تغييرات وضعت بصمتها على هذه المدينة وعلى ما كان فيها من آمال ومن طموحات، وهناك الكثير ممن رحل عن هذا العالم من أولائك الرفاق الطيبين، والكثير ممن ثبت لهم أن كل ما كان لديهم من آمال ومن طموحات في سنوات حياتهم الأولى كان تافهاً وعقيماً.

ربما كانت كل تلك التحولات خارجية بحيث لا تثير سوى القليل من الاهتمام، وقد لا تعيد إلى الذاكرة الكثير لكنها مع ذلك تُشير إلى غيرها من التغييرات الأكثر أهمية، ألا وهي التغييرات التي طرأت على الأشخاص وعلى أسلوب التعامل وحتى على المشاعر الإنسانية التي أخذت شكلاً جديداً غريباً ، وهي مع كل أسف ليست بالمؤشرات إلى السعادة.

ظهر الرخاء والرفاهية في كل مكان في المعامل وفي المؤسسات الخاصة، لكن كم تبقى ممن كانوا يعيشون حياة الرفاهية عندما كنت أنا أيضاً في الأوج ومن الأثرياء؟ وكم هو عدد العائلات الثرية التي كانت تملأ الأوساط الاجتماعية ممن ترك تلك الأوساط كي يواكب الأوساط البراقة الجديدة التي ظهرت في الوقت الحاضر؟

لم تتوقف دورة الثروة في ثورتها ولو لبعض الوقت، وإنما تبعثرت الآمال التي كانت تنشر البهجة في الأجواء بفعل رياح المحن.

وكما قلت لك ففي كل مدينة وقرية كثيراً ما يعود إلى ذاكرتي أمر وآخر مما مضى.

هناك في كل مدينة وقرية حياة بشرية بكل ما فيها من مشاعر شريرة ومن عواطف نبيلة، وهناك قصص تجرح القلوب، وتكشف النقاب عن ينابيع من الدموع.

يُقال: أن الحق أكثر غرابة من الخيال، ولكن ليس هناك ما هو أكثر صدقاً مما تعبر عنه المشاعر، كنت قد قرأت ذلك لكن لم يكن ما هو أكثر غرابة مما قابل نظري ومما ترك أثره العميق في نفسي من الأحداث الحقيقة التي مرت بها الحياة العائلية لبعض المواطنين، وبإمكان أي شخص في سن التأمل والملاحظة أن يؤكد على ما أشهد به، وعلى الظروف التي حدثت بها تلك الأحداث، وعلى حقيقة أن واقع الزمن الحاضر الذي نعيشه قد يُقلّل لأسباب كثيرة من دهشتنا من تلك الأحداث ويجعلنا نميل إلى التفكير بأقل من انفعال بما يحدث حولنا. وبالإضافة إلى ذلك فنحن عادة لا نرى سوى المظهر الخارجي للمجتمعات الشخص الذي يؤلف الروايات يكشف النقاب عن ما يدور في نفوس أبطال أحداث رواياته ما يجعلنا نطلع على أفكارهم ونشعر بانفعالاتهم. لكن لو كان بإمكاننا أن ننظر في قلوب من نقابلهم يومياً ، وأن نشعر بآمالهم وبانفعالاتهم وبمخاوفهم، فسوف نرى لدى كل من هم حولنا الكثير من القصص الحيّة عن المعاناة وعن مشاعر إنسانية تُثير لدينا الكثير من التعاطف تجاههم، ومع ذلك فإن مثل تلك الأمور تكون عادة مَخفية عن أعيننا ومستورة، بحيث يُسمح لنا عندما يصبح الحاضر من الماضي فقط، أن نرفع عنها الحجاب لكي ننظر إلى ما يكمُن تحته.

وكان رفيقي ونحن جالسين جانب إحدى النوافذ التي تشرف على أحد الشوارع الرئيسية في المدينة ضجة بسيطة قد قال فجأة بعد أن حدّق في الشارع لبضع دقائق وبلهجة تنم عن الكثير من التعاطف:

"هاهي هنا من جديد! يا لتلك البائسة فلورا، كم أشعر بالأسى لأجلك!"

سألته: "من تقصد؟"

وأجاب: "هل تشاهد تلك المخلوقة البائسة التي تتحرك ببطء في الطرف المقابل من الشارع تماماً؟"

أجبت: "نعم".

قال: "لم تكن هناك في هذه المدينة من عشرين عاماً مضت أية فتاة أكثر بهجة منها، ولم تكن هناك أية شابة كان قد أحبها الجميع مثلها."

سألته: "أتقصد تلك المرأة؟"

أجاب: "نعم، كما لم تكن هناك من كانت لديها من الطموحات والآمال المشرقة أكثر منها."

أطلقت تنهيدة دون إرادتي كانت قد أثارتها فكرة خطرت ببالي. وكنت على الفور من إلقاء نظرة سريعة على طرف وجهها الذي بدت عليه آثار الحزن والمرض والذي كان لا يزال من الوجوه المألوفة التي تحمل مسحة من جمال لا يمكن ألا يلحظه أحد. وقلت: "لابد أن الأمل قد سخر منها!"

قال رفيقي العجوز وهو ينظر من خلال النافذة:

"مسكينة فلورا، لم تكن حياتها سوى سلسلة من خيبات الأمل ومن المشاعر المسحوقة. كان الدرس الذي تلقته قاسياً جداً بالطبع بالنسبة لشابة بريئة طائشة غرّة مثلها.

سألته: "من تكون؟"

قال: "هل تذكر ذلك البيت القديم الذي يقع في شارع... هناك؟"

"نعم."

"أصبح ذلك البيت في الوقت الحاضر يستخدم كنزل، لكنه في أيام شبابي كان أحد أرقى مباني المدينة، ولم يكن أي منزل في المدينة يحتوي على ما كان فيه من المفروشات ذات السمة

الأرسطوقراطية الباهظة الثمن والأنيقة. كان كل ما فيه قد تم استيراده من مدينة باريس وبأغلى تكلفة. لم يكن هناك مجال لمقارنة الطريقة التي تم بها ترتيب تلك المفروشات في منزل السيد "ت" بأي منزل في المدينة ذلك الوقت.

سألته بدهشة: "هل هذه السيدة ابنة ذلك الشخص؟"

قال الرجل العجوز بصوت ينم عن الكثير من الحزن:

"نعم، تلك الفتاة هي فلورا ت..."

"هل كنت تعرفها في أيامها الأفضل؟"

" نعم، كنت أعرفها كما أعرف شقيقتي. كانت ألطف وأرق فتاة من بنات جنسها بحيث لم يكن بإمكان أي شخص قابلها ألا يقع في حبها."

"هل كانت قد تزوجت زواجاً تعيساً؟"

" نعم، وهذا هو سرّ ما هي فيه الآن من وضع سيء."

"يا للأسف! وكم كان أ يضاً عدد من عرفتهن أثناء حياتي من فتيات رقيقات جميلات ساءت بهنّ الظروف وجعلتهن في الحضيض نتيجة زواج من شخص شقي سيء لا يستحق حتى لقب الرجولة. ليست هناك أية عائلة ثرية في مدينتنا لم تكن قد تعرضت لمثل هذه الإساءة، ولم يكن قد دنس حياتها مثل ذلك الرجل الذي دمر حياة الكثيرين والذي نشر الشقاء حوله.

أما بالنسبة إلى فلورا فهي الحالة الأسوأ، لأن زوجها كان مدمناً على الشراب، كما أن وضع عائلتها الاجتماعي والمالي كان قد تراجع نتيجة للظروف، ثم تلا ذلك وفاة كل أفراد عائلتها كما كان كل من تبقى لديها في العالم قد أصبحوا من المعوزين،

لكن الأمر الأسوأ في قصة حياتها البائسة أن فلورا ذاتها كانت قد بدأت تنحدر بشكل سريع، وكانت قد خسرت براءتها التي كانت الصفة المميزة لشخصيتها المحببة للجميع، وبذلك لم يكن زوجها قد تسبب فقط في انحدارها وإنما كان قد تسبب في إفساد نفسيتها إلى أن أصبحت هذه الشابة الشقية البائسة.

قلت بعد بضع دقائق:

"كم من العائلات، كما أشرت ، كانت قد دمرت وهدمت سعادتها نتيجة زواج ابنة محبة ثرية من شخص ليس أهلاً للعاطفة الصادقة التي منحت له بسخاء.

قال العجوز بأسف:

"ينتج الشقاء عادة عن السبب، وهذا أمر لا يمكن أن يحتسب له المرء، وقد ظهر هذا ليس فقط بالتغييرات التي طرأت على فلورا، وبإمكاني أن أروي لك أيضاً العديد من المآسي التي تعرضت إليها عدة عائلات نبيلة ثرية كانت نتيجة لوقوع ابنتها في براثن شاب لا يمتلك أية أخلاقيات مما يجعل الفتاة تعاني يوماً بعد يوم، أسبوعاً بعد أسبوع، شهراً بعد شهر، عاماً بعد عام إلى أن تتمنى أن تحين الساعة التي سترحل فيها عن الحياة لكي تجد الراحة.

ثم تابع العجوز حديثه بالقول:

"لو نظرنا إلى التغييرات التي حدثت خلال العشرين عاماً الأخيرة أو حتى خلال الثلاثين أو الأربعين عاماً الأخيرة فلن نجد فيها ما حقق الآمال التي ضاعت مع الرياح. أشعر بالحزن لكن عليّ مع ذلك أن أتقبل كل هذا التغيير ولو بخيبة أمل، كما أن هناك الكثير مما يجرح القلوب وسأروي لك واقعة أخرى:

"كان لأحد أصدقائي المقربين الذي كان من كبار التجار ثلاث بنات، كان قد منحن أفضل الفرص لتلقي التعليم، لكن ذلك الرجل كان بعد أن أصبحت أكبرهن سناً في العشرين وأصغرهن سنًا في الرابعة عشر، قد خسر كل ما لديه من أموال في عملية تجارية. نعم، كان قد خسر كل شيء يمتلكه وأصبح بدون أية أموال. وبما أنه كان قد تقدم بالسن فلم يكن قد وجد الشجاعة لإعلام بناته بوضعه وبالتغيير الذي سيطرأ على حياتهن، لكن بناته كنّ يُحببن والدهن وهذا ما جعلهن يشعرن بأن هناك ما حدث. كانت أكبرهن سناً عندما ساورهن الشك بالأمر، قد زارت أحد موظفيه للاستفسار عن حقيقة ما تعرض إليه والدها، ورجته أن يطلعها عما حدث و بألا يُخفي عنها شيئاً من الحقيقة، وكان ذلك الشخص قد زودها بالطبع بتقرير كامل عما يمر به والدها وبخسارته لأمواله وبوضعه

المالي الحالي ...إلخ، وبذلك كانت الفتاة قد أدركت بأن الأمر لابد أن يتسبب بتحطيم تلك العائلة، وبذلك كانت بعد أن عادت إلى المنزل قد أعلمت شقيقاتها الأصغر بالنبأ المحزن، ثم عرضت عليهن ما لديها من خطة لإنقاذ تلك العائلة من الضياع كما اتفقت معهن على أن يتم إخفاء الأمر عن والدهن إلى أن تصبح تلك الخطة نافذة.

وذات مساء وبعد مرور عشرة أيام كانت الابنة الأكبر سناً بعد تناولهم العشاء قد اقتربت من والدها وأحاطته بذراعيها وقالت:

"والدي العزيز، لقد اطلعنا على كل ما حدث ونحن على استعداد تام لتحمل أسوأ الظروف وللوقوف إلى جانبك.

سألها الوالد بدهشة: "كيف حدث ذلك يا ابنتي؟"

أجابت: "علمنا من أحد العاملين لديك بأن وضعك المادي قد تغير ولكن اطمأن فسوف نتأقلم مع الأمر بكل شجاعة، ومن كل قلوبنا."

وكانت عينا الفتاة قد اغرورقتا بالدموع، وهي تقول ذلك لكن تلك الدموع لم تكن أسفاً على ما حدث من تغيير في حياتهن، وإنما لما رأته من دموع والدها التي كانت قد بدأت تسيل على خديه. ثم اقتربت منه الابنتان الأصغر سناً أيضاً وقالتا:

"والدنا الحبيب نحن أيضاً على استعداد بدورنا على التأقلم مع أي ظرف مهما كان قاسياً."

وكان ذلك الوالد البائس قد همس وقد اختنق صوته بالعبرات:

"ليبارككن الله يا بناتي لكنكن لا تعرفن كم ساء وضعنا وإلى أي حد أصبحت الآن فقيراً، فقد أصبحت متسولاً."

ابتسمت الابنة الكبرى، وقالت:

"ليس تماماً يا والدي، فقد عقدنا العزم على أن نقوم الآن بدورنا. وهذا ما جعلنا ولمدة أسبوع نتصل بأصدقائنا للتباحث معهم حول ما لدينا من خطط للعمل. وقد حصلنا على أربعين طالبة للمدرسة

التي قررنا أن نفتتحها، سوف نقوم بتدريس الموسيقى واللغة الفرنسية والرسم ...إلخ.

أنت لست متسولاً يا أبي الغالي ولن تكون كذلك قطّ ما دامت لديك بناتك الثلاث اللاتي يحببنك.

كان ذلك الوالد العجوز قد بدأ يبكي كالأطفال ولم يكن بإمكانه أن يعترض بالطبع على اقتراح ابنته. وكانت تلك المدرسة قد افتتحت على الفور ولا زالت حتى الآن تُدار من قبل الابنتين الأصغر سناً وبذلك ترى كيف كان ذلك ما أنقذ تلك العائلة من الدمار.

قد يعتبر بعض الآباء أن مساهمة أولادهم بإعالة العائلة من الأمور المُهينة لكرامتهم، لكن ما أثبتته تلك الفتيات بمحبتهم لوالدهن كان العزاء له.

طريق وعرة

للكاتبة أودورا ويلتي

في الصباح الباكر من أحد الأيام المُشرقة الشديدة البرودة من شهر كانون الأول (أكتوبر)، وفي مكان بعيد جداً من الريف، كانت امرأة زنجيّة عجوز تُدعى فونيكس جاكسون، تمشي ببطء في ظلال غابات الصنوبر، وهي تتمايل من جهة لأخرى، بحركة مُتوازنة أُشبه برقّاص الساعات القديمة التي كان يقتنيها الأجداد.

كانت تحمل عصاً صغيرة رفيعة، صُنّعت من يد مِظلّة قديمة، وتنقر بها أمامها على الأرض المُتجمّدة، بحيث يصدر عنها عبر السكون صوت خفيض مستمر أشبه بزقزقة عصفور صغير وحيد .كانت فونيكس ترتدي ثوباً مُخططاً قاتم اللون يصل إلى حذائها، ومِئزراً طويلاً فضفاضاً مصنوعا من أكياس السكر التي تم تبيضها (بواسطة القصار)، لكن ملابسها كانت جميعها نظيفة وأنيقة.

كانت كلما خطت خطوة تتعثر برباط حذائها الذي كان يتجرجر على الأرض وتكاد تقع، وكانت تنظر أمامها مباشرة بعينيها اللتين أصبحتا زرقاويين بتأثير تقدّم السن، وقد خطّت التجاعيد بشرتها بحيث أصبحت تبدو أشبه بشجرة صغيرة تقف في منتصف جبينها، لكن اللون الذهبي كان لا يزال يبدو تحت وجنتين لوحتهما الشمس بحيث تُضيئان بلون أصفر باهت تحت تلك البشرة الداكنة، وكان شعرها المعقوص تحت وشاحها الأحمر المنسدل على عنقها، لا يزال أسود اللون، تفوح منه رائحة شبيهة برائحة النحاس.

كانت فونيكس العجوز عندما تسمع بين الفينة والأخرى صوت اهتزاز في دغل الأشجار، تقول: "ابتعدي عن طريقي أيتها الثعالب الماكرة، أيتها البوم، أيتها الخنافس، أيتها الأرانب البريّة، يا حيوانات الراكون، أيتها الحيوانات المتوحشة، ابتعدي عن موط ء قدماي. فلا زال أمامي طريق طويل."

ثم كانت تحرك عصاها بيدها الصغيرة المُغطاة بالبقع السوداء وتضرب بها بعنف ما حولها.

استمرت في سيرها إلى الأمام في عمق تلك الغابات الهادئة، كانت الرؤوس الصنبورية تبدو تحت أشعة الشمس لامعة إلى الحدّ الذي يجعل من العسير على المرء أن ينظر إليها، وكانت أكواز الصنوبر تتساقط مع عصف الريح بخفة الرياش وكانت يمامة حزينة تهدل في ذلك السكون:

"لم يتأخر الوقت بعد، لم يتأخر الوقت كثيرًا بالنسبة إليه، سوف يُشفى حفيدك بالتأكيد."

كانت الطريق تمتد إلى الهضبة. حدثت فونيكس نفسها بتلك الطريقة الذي يتحدُث به المُسنون:

"يبدو كأن هناك ما يشبه السلاسل حول قدماي، وهذا ما يعيق سيري بسرعة أكبر، لكن علي أن أسرع فقد حان الوقت لوصولي إلى ذلك المكان البعيد، ومع ذلك يجب أن أعترف مع ذلك بأن هناك على هذه الهضبة ما يستحوذ عليّ دوماً، ويُناشدني البقاء هنا لبعض الوقت."

وكانت بعد أن وصلت إلى القمة، قد استدارت وألقت نظرة ثاقبة شاملة على المكان الذي جاءت منه، ثم قالت بحزم وإصرار:

"لا بأس علي أن توجه الآن إلى الأعلى من خلال أشجار الصنوبر، ثم إلى الأسفل من خلال أشجار السنديان."

ثم فتحت عينيها إلى آخر مدى وتوجهت بهدوء إلى الأسفل، ولكن وقبل أن تصل إلى أعلى الهضبة، كان ثوبها قد اشتبك بشجرة صغيرة.

حاولت تحرير ثوبها بأصابعها بكل تصميم، لكن ثوبها كان طويلاً وفضفاضاً، وكان كلما تمكنت من تحريره من مكان يشتبك في مكان آخر، لم يكن بإمكانها أن تدع الثوب يتمزق لذا قالت:

"يبدو أنني أصبحت الآن داخل دغل من الأشواك. أنت تقومين جيداً بالعمل المطلوب منك أيتها الأشواك، فأنت لا تدعين المجال لأحد للمرور بجانبك، كانت عينا العجوز قد حسبتك شجيرة خضراء جميلة وصغيرة."

ثم استطاعت أخيراً أن تُحرّر نفسها من تلك الأشواك، بعد أن كان جسدها بكامله قد بدأ يرتجف ثم قد تجرأت بعد لحظة على الانحناء لكي تتناول عصاها، وقالت بصوت مرتفع وهي تميل إلى الخلف،

وتنظر أمامها وقد بدأت الدموع تسيل من عينيها بغزارة:

"ها قد أصبحت الشمس في علو السماء، لقد ضاع كل الوقت هنا."

ثم شاهدت على الجدول في أسفل الهضبة جذع شجرة. وقالت: "سوف تبدأ المِحنة الآن."

رفعت قدمها اليمنى وصعدت على جذع الشجرة، ثم أغلقت عينيها. وكانت بعد أن رفعت ثوبها قد وجّهت عصاها بثبات إلى الأمام لكي تتوازن، وبدأت تمشي. كانت تبدو بذلك أشبه بشخصية خيالية في عرض مسرحي، لكنها عندما فتحت عينيها، كانت قد وصلت سالمة إلى الجهة الأخرى. وبذلك حدثت نفسها:

"يبدو أنني لم أتقدم بالسن إلى ذلك الحدّ كما خطر ببالي."

لكنها اضطرت بعد ذلك إلى الجلوس لكي تلتقط أنفاسها وتستريح. جلست على الضفة، ونشرت ثوبها حولها وضمّت يديها فوق ركبتيها. كانت فوقها شجرة من نبات الهدال وهو نبات طفولي.لم تكن تجرؤ على إغلاق عينيها، ثم خُيّل إليها بأن طفلاً صغيراً يقدم إليها قطعة من الكعك على طبق، وقالت:

"سوف أقبلها منك."

إلا أنها عندما مدّت يدها لكي تأخذها وجدت بأنه ليس هناك شيء في الهواء سوى يدها.

ثم تركت تلك الشجرة وكان عليها أن تجتاز بعد ذلك سياجاً من الأسلاك الشائكة، وأن تحبو وتدبّ وهي تنشر ركبتيها وتمدّ كفيها إلى الأمام أشبه بطفل صغير يحاول تسلّق السلالم. وحدثت نفسها بصوت مرتفع:

"ليس بإمكاني أن أترك ثوبي يتمزق الآن، وفي مثل هذا الوقت المتأخر من النهار، لأنه ليس بإمكاني أن أدفع ثمن ثوب جديد، لو حدث أن احتجزت في المكان الذي أقف فيه، أو أن أعرّض نفسي إلى قطع إحدى يدي أو ساقي."

استطاعت أخيراً أن تدخل بأمان من خلال السياج، وبذلك أصبحت في الخلاء. كانت الأشجار الكبيرة الميتة الشبيهة برجال سود بيد واحدة، تقف بثبات إلى جانب القصبات الأرجوانية لحقل القطن الذابل.

شقت طريقها عبر الأخدود ثم مرّت من خلال حقل القطن، ودخلت إلى حقل الذرة الميتة، كانت أعواد الذرة التي كانت أطول من قامت ورفيعاً كأنها تتهامس، قالت:

"عليّ الآن أن أمشي من خلال هذه المتاهة."

فلم يكن هناك أي طريق تستطيع المرور من خلاله.

ثم لمحت عن بعد شيئاً أسود اللون طويلاً ورفيعاً كان يتحرك أمامها، فكرت ربما كان رجل يرقص في الحقل لكنها بعد أن وقفت هناك دون حِراك وأصغت وجدته صامتاً أشبه بشبح رجل، قالت:

"أنت شبح من أيها الرجل؟ لم أسمع منذ فترة قريبة بوفاة أحدهم في هذا المكان؟"

لم تكن هناك أية إجابة، وإنما كان ذلك الرجل الرثّ الثياب لازال يتراقص في الهواء.

أغلقت عينيها ومدت يدها ولمست كمّ سترته، وكانت بذلك قد أدركت بأنه عبارة عن معطف فارغ بارد كالثلج. ضحكت، وقالت:

"أنت فَزّاعة!" ثم أشرق وجهها، وقالت:

علي أن أصمت تماماً، يبدو أنني قد فقدت عقلي، أنا امرأة عجوز، أنا العجوز الأقدم في العالم. ارقصي أيتها الفَزّاعة العجوز وسوف أرقص معك أنا أيضاً.

ثم ضربت بقدمها الأخدود واستمرت في سيرها في ذلك الحقل الذابل وهي تشقّ طريقها بعصاها من جهة لأخرى، إلى أن وصلت في النهاية إلى أثر لشاحنة كانت قد مرّت بالمكان الذي كان فيه العشب الفضفاض يهب بين الأخاديد الحمراء، وحيث كانت طيور السُّمّان تجري حوله أشبه بالدجاجات حدثت نفسها:

"حسناً، عليّ الآن أن أتتبع هذا الأثر فهذا هو المكان السهل. وهذا هو الطريق الأقرب للعبور."

ثم تتبعت أثر الشاحنة وهي تتمايل عبر الحقول الهادئة الخالية، وبين الأشجار التي كانت تبدو فضّية بتلك الأوراق الميتة. ثم مشت في الوادي الضيّق الذي كان يجري فيه نبع من خلال قطعة كبيرة من جذع شجرة بكل سكون. انحنت فونيكس العجوز وشربت منه وهي تقول:

"للصمغ طعم حلو وهذا ما يجعل ماء هذا النبع حلو المذاق."

ثم شربت مرّة ثانية وقالت:

"لا يعلم أحد من الذي جعله جيّداً هكذا، لابدّ أن ذلك لأنه كان هنا قبل مولدي."

ثم توجهت إلى عمق الطريق بين صفوف الأشجار الخضراء المرتفعة، حيث كانت أشجار السنديان تتشابك معاً في العلو، مما جعل المكان يبدو أشبه بكهف مظلم إلى أن سقطت على الأرض. وقد عثر عليها رجل أبيض، كان ذلك الرجل أحد الصيادين قال لها وهو يضحك:

"ما الذي تفعلينه هناك أيتها الجدّة العجوز؟"

قالت وهي ترفع يدها إلى الأعلى:

"أنا مستلقية على ظهري مثل بقّة حزيران بانتظار أن يقوم أحدهم بقلبي على وجهي."

قام الصياد الشاب برفع فونيكس من على الأرض، ودار بها في الهواء ثم أجلسها وسألها:

"هل أصيب أحد أعضائك بكسر أيتها الجدّة العجوز؟"

وأجابته عندما استطاعت أن تلتقط أنفاسها:

"كلا سيدي، الأعشاب الهرمة الميتة مرنة بما فيه الكفاية، أشكرك لما تجشمته من عناء."

ثم سألها: "أين تسكنين يا جدتي العجوز؟"

قالت: "هناك في الخلف سيدي،في مكان بعيد وراء الجسر، ليس بإمكانك حتى أن تراه من هنا".

"وهل أنت الآن في طريقك إلى منزلك؟"

"كلا سيدي، أنا ذاهبة إلى البلدة."

"لماذا؟ هذا مكان بعيد جداً عن هنا! وهو بعيد حتى بالنسبة إلي، لكنني أحصل بذلك على مقابلٍ لما أتكبّده من عناء."

وكان قد ضرب ضربة خفيفة على الكيس الذي يحمله حيث كان يتدلى منه شيء ذو مخالب. كان ذلك الشيء عبارة عن حجل مما يشير إلى أنه ميت.

ثم قال لها: "من الأفضل أن تذهبي الآن إلى بيتك أيتها الجدة العجوز."

قالت فونيكس: "لكن علي أن أذهب إلى البلدة، فقد حان الوقت."

ضحك الشاب ضحكة أخرى ضجّت في الفراغ وقال:

"أنا أعرفكم جيّداً أيها الملوّنون العجائز، فليس بإمكانكم أن تُفوّتوا مناسبة الذهاب إلى البلدة لرؤية سانتا كلوز (بابا نويل)."

ولكن الحقيقة أن هناك ما كان قد جعل فونيكس تبقى ساكنة. كانت الخطوط العميقة في وجهها قد تحوّلت إلى إشراقه ضارية لا مبالية. كانت قد شاهدت بأم عينيها، وبدون سابق إنذار، خمسة سنتات لامعة تسقط من جيب ذلك الرجل على الأرض.

سألها الرجل من جديد: "كم عمرك يا جدتي العجوز؟"

قالت: "لن أقول لك، لن أقول لك سيدي."

ثم سمعت أصوات كلاب الصيد وهي تتقاتل، وسمعت صوت الرجل الذي كان يركض وراءها ويرميها بالقضبان وتلا ذلك صوت إطلاق نار. لكنها كانت في ذلك الوقت تنحني ببطء شديد إلى الأمام وببطء أكثر ... فأكثر ، وقد أرخت أجفانها فوق عينيها ، ثم مدّت راحة يدها من تحت ثنية المئزر، وأدلت أصابعها إلى الأرض إلى المكان الذي كانت فيه قطعة النقود وأخذتها بكل حرص كما قد يحمل المرء بيضة من تحت دجاجة حاضنة ثم نهضت ببطء ووقفت مُنتصبة.

فكرت: "ها قد أصبحت قطعة النقود في جيب مئزري."

كان أحد الطيور قد حلّق في تلك اللحظة حولها، وبذلك تحركت شفتاها وهمست:

"ليسامحني الله فهو يرقبني طوال الوقت، وها قد وصل بي الأمر إلى السرقة."

وعندما عاد الرجل قال لها من جديد:

"حسناً، لقد أفزعت تلك الكلاب هذه المرة إلى أن هربت."

ثم ضحك ورفع بندقيته ووجّهها نحو فونيكس.

وقفت منتصبة وواجهته.

قال وهو لازال يُوجّه البندقية نحوها:

"ألا تُخيفك هذه البندقية؟"

قالت وهي لا تزال تقف بسكون تام:

"لا، لقد رأيت سابقاً الكثير من هذا في حياتي، وكانت مثل هذه البندقية أقرب إلي مما هي عليه الآن، ولسبب أقل أهمية مما فعلته الآن." (وكانت بالطبع تقصد سرقتها لقطعة النقود التي سقطت منه على الأرض)

ابتسم الشاب وأنزل البندقية من فوق كتفه، وقال:

"حسناً يا جدتي، لابد أن سنك تجاوزت المائة عام، لذا لم يعد هناك ما قد يُخيفك. كنت سأعطيك دايماً (عُشر الدولار)، لو كان لدي، ولكن أصغي إلى نصيحتي ، عودي إلى بيتك وبذلك لن يصيبك أي أذى."

قالت فونيكس وهي تحني رأسها الملتف بذلك الوشاح الأحمر:

"لكن علي أن أذهب في طريقي."

ثم ذهب كل منهما في اتجاه مختلف، لكنها كانت لا تزال تسمع مرّة بعد مرّة صوت إطلاق النار من البندقية من وراء الهضبة.

استأنفت السير إلى أن وصلت إلى البلدة .كانت الظلال التي تمتد من أشجار السنديان شبيهة بالستائر. شمّت رائحة الخشب ورائحة النهر وشاهدت برج الكنيسة والحجرات الصغيرة الممتدة على سلالمها الشاهقة. كانت الأجراس تقرع وكان العديد من الأطفال السود يطوفون حول الكنيسة.

هاهي "مدينة ناتشي" مُضيئة، وبذلك توجّهت إلى الأمام.

كان ذلك اليوم هو يوم عيد الميلاد. وكان العديد من الأسلاك الكهربائية الحمراء والخضراء يتألق ما جعل البلدة الأعلى كأنها في ضوء النهار. لو لم تكن العجوز فونيكس تثق بعينيها، وتعتمد على قدميها اللتين تعرفان إلى أن تقودانها لكانت ستضيع.

توقفت بهدوء إلى جانب الطريق الذي يمر بجانبه الناس إلى أن مرت بها سيدة بين ذلك الحشد كان تلك السيدة تحمل مجموعة كبيرة من رزم الهدايا المُغلفة بأوراق حمراء وخضراء وفضية، وقد انبعثت منها رائحة عطر تشبه رائحة الورود الحمراء أثناء الصيف الحار، أوقفتها فونيكس وقالت:

"أرجوك سيدتي، هل بإمكانك أن تربطي لي حذائي؟"

ثم رفعت قدمها إلى الأعلى.

سألتها السيدة: "ما الذي تريدينه يا جدتي العجوز؟"

قالت فونيكس: "هل ترين حذائي هذا، ربما كان هذا الحذاء مناسباً للريف، لكنه غير مناسب للدخول إلى مثل هذا المبنى الكبير."

قالت لها السيدة: "عليك أن تقفي إذن دون حراك يا جدتي العجوز."

ثم وضعت السيدة الرزم التي تحملها إلى جانب الرصيف وقامت بربط حذاء فونيكس بإحكام.

قالت فونيكس: "شكرا لك سيدتي فلم يكن بإمكاني أن أربطها وأنا بهذه العصا، لكن لا بأس من أن أطلب من سيدة محترمة مثلك أن تربط لي حذائي."

ثم تحركت ببطء من مكان لآخر، إلى أن دخلت إلى ذلك المبنى الضخم ثم صعدت السلالم إلى الأعلى، وأخذت تدور حول المكان مرات ومرات، ومن جهة لأخرى إلى أن عرفت قدماها أين عليها أن تتوقف. دخلت إلى تلك الغرفة ، وكانت قد شاهدت هناك على الجدار تلك الوثيقة المختومة بخاتم ذهبي، التي كانت ضمن إطار ذهبي، وهي الوثيقة التي تتوافق مع الحلم الذي كان في ذهنها. حدثت نفسها:

"ها قد أصبحت الآن في المكان المناسب."

ثم وقفت أمام الموظف، وقد انتصب جسمها بطريقة رسمية.

قال لها الموظف على المكتب المواجه لها:

"أعتقد أنك جئت لأجل موضوع خيري.أليس كذلك؟"

لكن كل ما فعلته فونيكس هو أنها اكتفت بالنظر إلى اللوحة التي كانت فوق رأسه. كان وجهها يتصبّب عرقاً وقد بدت فيه التجاعيد أشبه بشبكة مُضيئة.

قال الموظف من جديد:

"تكلمي أيتها الجدة العجوز، ما اسمك؟ أتعلمين بأن علينا أن نأخذ المعلومات عن تاريخ حياتك؟ هل سبق وجئت إلى هنا؟ وما هي مشكلتك؟"

لكن كل ما فعلته فونيكس كان أن هزت رأسها بقوّة كما لو أن ذبابة كانت قد ضايقتها، حينئذ صاح بها الموظف:

"هل أنت صمّاء؟"

لكن المرضة كانت قد جاءت حينذاك، وقالت له:

"آه ... هذه فونبكس العجوز، هي لا تأتي إلى هنا لأجلها، لديها حفيداً مريضاً، وعلى الرغم من أنها تعيش بعيداً في المنطقة القديمة لناتشي تراس فهي تقوم لأجله بهذه الرحلات بشكل مُنتظم أشبه بعقارب الساعة."

ثم انحنت نحوها، وقالت:

"حسناً خالتي فونيكس، لِم لا تجلسين؟ لن نتركك واقفة هكذا بعد تلك الرحلة الطويلة."

جلست المرأة العجوز على الكرسي على الفور، وهي لا تزال مُنتصبة.

ثم سألتها المرضة: "والآن، كيف حال الصبي؟"

لكن فونيكس لم تكن قد تكلمت.

قالت المرضة: "سألتك كيف حال الصبي؟"

لكن فونيكس انتظرت فقط وهي تُحدق إلى الأمام بنظرة جديّة، ثم كانت نظرتها قد تحوّلت بعد ذلك إلى نظرة صارمة.

سألتها المرضة مجدداً:

"هل أصبح وضع حنجرته أفضل؟ خالة فونيكس، ألا تسمعينني؟" هل أصبح حفيدك بوضع أفضل بعد أن أخذت له الدواء عندما جئت إلينا في المرة الأخيرة؟"

لكن المرأة كانت لا تزال تنتظر بصمت ودون حراك وهي لا تزال منتصبة ويديها فوق ركبتيها، كما لو أنها كانت داخل درع.

ثم قالت المرضة:

"خالتي فونيكس، لا يجوز أن تأخذي هذا القدر الكبير من وقتنا، أعلمينا بسرعة عن وضع حفيدك.

لم يمت أليس كذلك؟ هل مات؟"

وكان قد ظهر أخيراً بصيص من ضوء على وجه فونيكس، ثم تحوّل ذلك البصيص بعد ذلك إلى اتقاد من الإدراك وتكلمت.

"حفيدي؟ نعم، كانت ذاكرتي قد خانتني، وها أنا أجلس هنا وقد نسيت السبب الذي جعلني أقوم بهذه الرحلة الطويلة."

قطبت الممرضة حاجبيها وقالت:

"هل نسيت؟ بعد أن أتيت من تلك المسافة البعيدة؟"

وكانت فونيكس في تلك اللحظة قد تحوّلت إلى امرأة تتوسل، وتطلب السماح وكأنها استيقظت ليلاً وهي مذعورة، وقالت بصوت رقيق:

"لم أذهب يوماً إلى مدرسة، وقد تقدمت بالسن، أنا امرأة عجوز جاهلة. وقد خانتني ذاكرتي. كلا، لم تتحسن صحة حفيدي، كنت قد نسيت ذلك أثناء مجيئي."

قالت الممرضة لفونيكس بصوت مرتفع وبكل ثقة:

"ألم الحنجرة لا يشفى أبداً، هل شفى منه حفيدك؟"

وكانت قد عثرت على بطاقة كُتب عليها شيء ما وعلى لائحة صغيرة وقالت:

"نعم، إنه محلول للشرب. متى كان ذلك؟ كانون الأول؟منذ سنتين أو ثلاث."

وكانت فونيكس في ذلك الوقت قد بدأت تتكلم دون أن يُطلب منها ذلك قالت:

"لا، آنستي لم يمت، لكن حالته لا تزال كما هي، يُطبق عليه حلقه بين فترة وأخرى، وهو بذلك لا يتمكن من البلع، كما أن ليس بإمكانه أن يتنفس ولا حتى أن يساعد نفسه. لذا كان قد حان الوقت لقيامي بهذه الرحلة الثانية لكي أجلب له دواءً مُهدئاً."

قالت الممرضة: "حسناً، قال لي الطبيب بأنك مادمت قد جئت لأخذ الدواء فسوف تحصلين عليه. لكن هذه الحالة تُعتبر من الحالات المُستعصية."

لكن فونيكس استمرت في كلامها:

حفيدي الصغير يجلس الآن هناك بمفرده في البيت، ينتظر وهو مُلتف بالبطانيات، نحن الاثنان كل ما تبقى في هذا العالم، لحفيدي نظرة لطيفة وهو يعاني ولا يبدو أن ذلك يجعله يتحسن لكنه سوف يعيش، هو يضع عليه اللحاف ويختلس النظر من تحته، ويُبقي فمه مفتوحاً كالعصفور الصغير. لقد بدأت الآن أتذكر جيدًا، لن أنساه من جديد. لا، كل ذلك الوقت من المعاناة بإمكاني أن أتعرّف عليه من بين كل مخلوقات العالم."

قالت الممرضة التي كانت قد بذات الوقت تحاول إسكاتها:

"حسناً حسناً، سوف أعطيك الدواء لأنه موضوع خيري."

ثم أحضرت لها زجاجة من الدواء، ووضعت إشارة بذلك على السجل.

نظرت فونيكس إلى الزجاجة عن قرب ثم وضعتها في جيبها بعناية، وقالت: أشكرك.

وكان الموظف قد قال لها بعد ذلك:

"جدتي، بما أن هذا اليوم هو يوم عيد الميلاد، فهل تقبلين مني بعض البنسات؟"

قالت فونيكس بحزم: "نعم، خمسة بنسات تساوي نيكل."

قال الموظف: "وهذا النيكل لك."

نهضت فونيكس بحذر، ثم مدّت يدها وأخذت النيكل، وبحثت عن النيكل الآخر الموجود في جيبها ووضعته بجانب النيكل الجديد. نظرت إليهما عن قرب في راحة يدها وهي تدير رأسها نحو الجانب الآخر.

وكانت بعد ذلك قد نقرت بعصاها على الأرض وحدثت نفسها: "هذا ما كان قد خطر ببالي أن أفعله، سوف أذهب إلى المتجر، لكي أشتري لطفلي طاحونة هوائية صغيرة من الطواحين المصنوعة من الورق التي يبيعونها هنا. سوف يصعب عليه التصديق بأن هناك مثل هذه الأشياء في العالم، سوف أمشي إلى المكان الذي ينتظرني فيه وأنا أمسك بها بيدي بشكل عمودي. ثم هزّت رأسها واستدارت وخرجت من مكتب الطبيب، وبدأت تنزل السلالم بخطواتها البطيئة وهي تفكر بحفيدها الصغير المريض.

السن المتقدمة "1"

للكاتب يوهان غوتيه

ليس هناك من هو أكثر دماثة من السن المتقدمة

فهي من وقت لآخر تقرع الباب وتطلب الدخول

لكن لا أحد يقول لها تفضلي سيدتي بالدخول

لكنها لا تبعد عن الباب وإنما ترفع المزلاج بعد ذلك

لكي تدخل بسرعة وحتى بدون استئذان.

وهم يبكون بعد ذلك ويقولون :

"كم هي وقحة بالفعل هذه السن المتقدمة!"

السن المتقدمة"2"

للكاتب كيل يونغ رايس

سمعت طيور الإوز البرية

ورأيت أوراق الأشجار تتساقط

ثم شاهدت الصقيع يكسو الحقول

وسمعت الريح تعصف، كان ذلك كل شيء

فلو كان طائر السنونو سيضيء عندما يقترب المساء

ولو كان طائر الكركي لن يصرخ أشبه بروح خائفة

لن يكون علي أن أفكر بعد الآن بتقدم السن،

ولن يكون علي أن أفكر أيضاً باقتراب بيوم الرحيل

ولا بعصف الرياح.

السيرة الذاتية للكاتبة

- البيانات الشخصية :

الاسم - أمل عمر بسيم الرفاعي

الجنسية - عربية - سورية

-المؤهلات العلمية

-إجازة في الحقوق - جامعة حلب

-دبلوم في الإدارة - المعهد الدولي للإدارة - باريس - فرنسا

اللغات الأجنبية

Foreign languages –

اللغتين الفرنسية والانكليزية

الأعمال التي كلفت بها Employments

1- مديرة لمكتب رئيس جامعة حلب

2- أمينة السرّ ومسؤولة تنظيم المؤتمرات الدولية والمحلية التي انعقدت في جامعة حلب بالتعاون مع الجامعات والمؤسسات العلمية والمنظمات الدولية ومنها:

-منظمة اليونسكو

-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

-معهد التعاون مع العالم العربي مدريد - اسبانيا

-المنظمة العربية والثقافة والعلوم

-مركز زايد للتراث والتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة وغيره ا

الأبحاث:

-أهمية التأهيل الإداري وأثره في إعداد شخصية الإداري الناجح.

-مدى تأثير محيط العمل على الاستعداد النفسي لتقبّل عملية التطوير الإداري.

المؤلفات التي تم نشرها:

- Publications -قاموس المصطلحات القانونية والدبلوماسية عربي –انكليزي وبالعكس

-قاموس المصطلحات الإدارية والاقتصادية عربي انكليزي وبالعكس

-قاموس مصطلحات إدارة الأعمال

-نماذج لأصول المراسلات التجارية انكليزي – عربي

مؤلفات قيد النشر–

- Under publicationنماذج لأصول المراسلات المكتبية ثلاثية اللغة عربية ,انكليزية, فرنسية

-ترجمة ل(40) من القصص القصيرة التي قام بتأليفها مشاهير الكتاب في العالم

ترجمات جاهزة للنشر

-ترجمات ل (12) قصة قصيرة للكاتب مارك توين

-ترجمات ل(10) قصص للكاتب الفرنسي غي دو موباسان

قائمة بالمؤلفات التي تم نشرها للكاتبة أمل الرفاعي:

ترجمات مختارة من قصص الكاتب مارك توين.



ترجمات مختارة من أشهر قصص الكتاب العالميين.



الورقة الأخيرة.



السبيل إلى السعادة.



السبيل إلى السكينة.



إكليل الزهور.



الشبهة.



مجموعة القصص الموجّهة للناشئين.



المرأة اللغز.





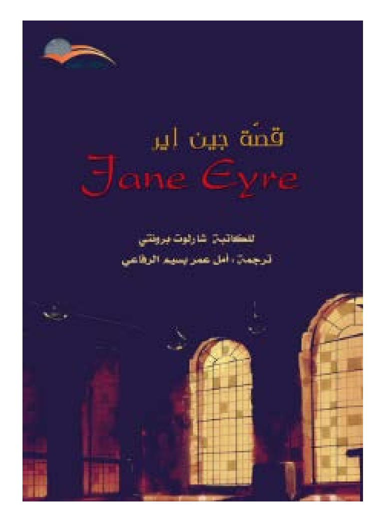
قوّة الإيمان.



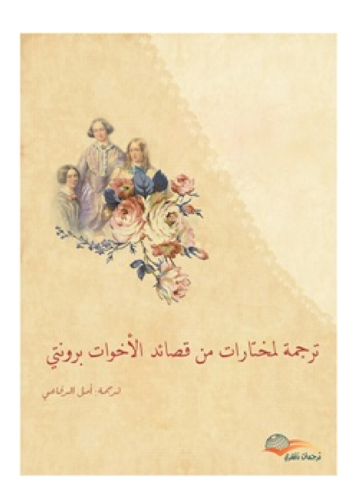
المجموعة الثانية من القصص الموجهة للناشئين.



قصة جين إير.



مجموعة قصائد الأخوات برونتي.



قاموس المصطلحات الدبلوماسية والسياسية.



قاموس المصطلحات الإدارية والاقتصادية.



قاموس المصطلحات القانونية والدبلوماسية.



قاموس مصطلحات إدارة الأعمال.



نماذج لأصول المراسلات الإدارية والتجارية.



قائمة بالمقالات التي تم نشرها:

- كلمة الشكر وحسن التعامل مع الآخرين.
- محكمة التاريخ.
- الفساد الأخلاقي.
- الطموح والقناعة.
- قانون الأخلاق.

القصص القصيرة التي تم نشرها:

- حديث المرآة.
- سارة والوردة الأخيرة.
- تضحية أم.
- الشمعة: رمز العطاء والإيثار